

الشكرُ حصنُ النعم

## بطاقة الفهرسة

# الشكرُ حصنُ النعم

## التأليف

الشيخ زياد الساعدي  
الشيخ إسكندر الجعفري

## الإشراف العلمي

الجمهورية العربية السورية  
مركز البحوث والدراسات الإسلامية

الإصدار ١٥



جميع الحقوق محفوظة

للعتبة الحسينية المقدسة

---

الطبعة الأولى

١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٢ م

---

إصدار

مؤسسة الخلق العظيم

بيت المقدس حالي

## هوية الكتاب

- عنوان الكتاب: الشكرُ حصنُ النعم
- المؤلف: مؤسسة الخُلُق العظيم
- الإشراف العلمي: اللجنة العلمية في مؤسسة الخُلُق العظيم
- الناشر: العتبة الحسينية المقدسة
- تقويم النصّ: وحدة تقويم النصّ في مؤسسة الخُلُق العظيم
- الإخراج الفني: محمد شوكت
- التنسيق: أحمد المذحجي
- الطبعة: الأولى
- المطبعة: دار المؤمن
- سنة الطبع: ١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م
- عدد النسخ: ٥٠٠

## مقدمة المؤسسة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والمرسلين  
محمدٍ وآله الطيبين الطاهرين.

وبعد؛ فقد كانت الأخلاق ولا تزال هاجساً مهماً؛ يشغل مساحةً واسعةً من  
الفكر الإنساني على اختلاف اتجاهاته ومصادره المعرفية، وقد اشتركت في حمل هذا  
الهمّ الكبير مختلفُ المدارس الفكرية والديانات والحضارات، وسعت في معالجته  
على وفق رؤاها المتفاوتة ومبانيها المختلفة. ويدلّل هذا الاهتمام البالغ على حقيقة في  
غاية الأهمية، وهي أنّ الجانب الأخلاقي لدى أبناء البشر عصيّ على الإهمال  
والتجاهل، وأنّ أيّ محاولة لتجاهل هذا البُعد المحوري والفطري، أو التغافل عنه  
ليست إلاّ محاولة لضبط بركانٍ هائج، أو السيطرة على ثورة عارمة في أعماق  
الإنسان تسوقه إلى ما يرى فيه خيره وسعادته وكماله، وهذا ما يدعو إلى التفكير في  
هذا الميل الفطري الجارف نحو الأخلاق؛ للإحاطة به والاطّلاع على دقائقه  
وخفاياه، والعمل على معالجته نظرياً وعملياً.

إنّ التأمّل فيما تعيشه البشرية - اليوم - من أزمات مختلفة على مستوى  
المجتمعات والأفراد يؤكّد حقيقةً مهمّة؛ وهي أنّ قسطاً كبيراً من تلك الأزمات  
يعود إلى وجود فراغات كبيرة في المجال الأخلاقي، أخذت تنعكس سلباً على

٨ ..... الشكرُ حصنُ النعم

الجانين الروحي والسلوكي للإنسان المعاصر، وقد كان لمجتمعاتنا الإسلامية نصيبٌ من تلك الأزمات المتعدّدة الجوانب، فأثّرت بشكلٍ كبيرٍ في التراجع الأخلاقي الملحوظ، ولا سيّما مع ملاحظة مدى التعقيد الذي تتسم به التحديات الراهنة، وما تحمله الحياة المعاصرة من تغيّراتٍ مهمّة، وانفتاحٍ غير مسبوقٍ على الأفكار والثقافات والأنماط السلوكيّة المختلفة في ظلّ الثورة المعلوماتيّة، والتنوّع المُذهل في وسائل الإعلام والتواصل.

فلا ريب في أنّ ملاحظة ما مرّ ذكره تدعو المهتمّين بالشأن الفكري والثقافي إلى وضع الحلول المناسبة، والعمل الجادّ في سبيل مواجهة هذه الأزمات ومعالجتها على المستويين: النظري والعملي، من خلال التأسيس لرؤية أخلاقيّة شاملة، تقوم في جانبها النظري على الوعي التامّ والدقيق بطبيعة الإنسان، وأبعاده الوجوديّة، وخصائصه، وميوله، ورغباته، وفي جانبها العملي على إحياء القيم والفضائل الأخلاقيّة بشتّى الطرق والوسائل المتاحة. ولا تخفى حاجة هذا العمل المهمّ إلى جهد مؤسّساتي منتظم، تتضافر فيه المساعي والخبرات لمواجهة التحديات، والنهوض بالواقع الأخلاقي للمجتمع المسلم. وقد سعت إلى ذلك (مؤسسة الخلق العظيم) لتكون السبّاقة في هذا المجال. وإليك عزيزي القارئ هذه الإطالة السريعة عليها.

### **(مؤسسة الخلق العظيم) ودوافع تأسيسها**

لقد كان الشعور بالحاجة الملحّة إلى العمل الجادّ في المجال الأخلاقي، من قِبَل القائمين على العمل في العتبة الحسينيّة المقدّسة، حافزاً مهمّاً لإنشاء

مؤسسة متخصصة، ينصبّ جهدها في إحياء النهج الأخلاقي الإسلامي على المستويين: الفكري النظري، والسلوكي العملي، ونشره وترويجه بين أبناء المجتمع الإسلامي بطرقٍ ونشاطاتٍ مختلفة، فتمخّضت تلك الجهود المباركة عن تأسيس (مؤسسة الخلق العظيم)، التي اشتق اسمها من قوله تعالى في كتابه المجيد: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(١)</sup>؛ تيمناً بما نعت به الجليل الأعلى نبيّه الكريم ﷺ بهذه الصفة السامية، على أمل أن تسدّ جزءاً من الفراغ الملحوظ في المجال الأخلاقي.

### رؤية المؤسسة

تنطلق المؤسسة من الرؤية الإسلامية للأخلاق، وتتبنى استراتيجيةً عامّةً تقوم على ثلاثة عناصر أساسية يمكن أن نُعبّر عنها بـ(الأسس الميتافيزيقية للأخلاق)، وهي:

### أولاً: فطرية الميل الأخلاقي والهيته

تنطلق الرؤية الأخلاقية الإسلامية من مبدأ التوحيد، والإيمان بالله تعالى وصفاته وأفعاله، وتبني على أنّ الله تعالى قد أودع في الإنسان ميلاً فطرياً يدفعه نحو الخير وتحصيل الكمال بإرادته واختياره، وتعدّ الغاية القصوى للأخلاق هي الوصول إلى القرب الإلهي باعتباره الكمال المطلق، وتكمن

---

(١) القلم: آية ٤.

١٠ ..... الشكرُ حصنُ النعم

السعادة الحقيقية للإنسان في وصوله إلى تلك الغاية والاصطباغ بصبغة الله، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً﴾<sup>(١)</sup>. فالله تعالى هو الموجد للميل الأخلاقي لدى الإنسان، وهو المقصد والمبتغى الذي يجب على الإنسان التوجه إليه في كل محطات مسيرته الأخلاقية، وأن يكون التوجه إلى الله عز وجل هو الروح السارية في كل فعالياته الأخلاقية.

### ثانياً: تكامل النظام الأخلاقي في الإسلام

تعتمد الرؤية الأخلاقية المتبناة على أن الله تعالى كما أودع في الكون أحسن نظام؛ ليسير فيه كل مخلوق إلى كماله المطلوب، فقد أوجد نظاماً أخلاقياً متكاملًا من شأنه أن يوصل الإنسان إلى الكمال من خلال رسم الهدف الأسمى له، وتعيين طريقه، وبيان العقبات التي تعترض مساره، وعين القدوة والمرشد في هذا السير، وهو ما تكفل ببيانه الدين الإسلامي الحنيف، بل هو من أهم الوظائف التي بُعث لأجلها سيد الرسل ﷺ، فقد روي عنه: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»<sup>(٢)</sup>. ما يعني أن هناك نظاماً أخلاقياً متكاملًا ومنسجماً مع فطرة الإنسان، تكفلت ببيانه الرسالة الإسلامية؛ فيتحتّم علينا التعرف عليه، واستكشاف ركائزه وتعاليمه، والعمل على نشرها وترويجها والتثقيف عليها بمختلف الوسائل والأساليب.

(١) البقرة: آية ١٣٨.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ١٦، ص ٢١٠.

### ثالثاً: محورّية الإنسان في الأخلاق

يُشكّل الإنسان المحور في السجال الأخلاقي؛ فهو الموضوع الذي تدور حوله كلّ الجهود والفعاليات الأخلاقيّة، بكلّ ما يمتلكه من خصائص وجوديّة، ونفسيّة، وطبيعيّة، وعقليّة، وميتافيزيقيّة، وما له من احتياجاتٍ ورغباتٍ وميول، وكلّ ما يؤثّر في اتصافه بالصفات الأخلاقيّة، وفي صدور الأفعال الاختياريّة عنه. ومن الواضح أنّ كل محاولة تهدف إلى تهذيب الأخلاق الإنسانيّة يجب أن تنطلق من رؤية صحيحة وواضحة ومتكاملة في طبيعة تلك الخصائص والميول والمؤثّرات. ونعتقد - جازمين - أنّ الرؤية الأخلاقيّة الإسلاميّة تتوفر على قراءة واقعيّة ودقيقة وتامّة وشاملة، تغطّي العناصر المهمّة والأساسيّة في وجود الإنسان وطبيعته وخصائصه وميوله، وكلّ المؤثّرات في مسيرته الأخلاقيّة.

وما ذكرناه - آنفاً - لا يمنع من الانفتاح على العلوم والمعارف المهتمّة بدراسة الإنسان وشؤونه وأبعاده المختلفة، ولا سيّما مع التطوّر الكبير الذي شهدته تلك العلوم وتخصّصاتها الدقيقة، كالعلوم الطبيعيّة والإنسانيّة؛ من قبيل علم الإنسان (الأثروبولوجيا)، وعلم النفس (السيكولوجيا)، وعلم الاجتماع (السيسيولوجيا)، وعلم التربية وغيرها، إذ يُمكن الاستفادة من معطيات تلك العلوم والمعارف في المجالات التي تصبّ في سبيل تحصيل الوعي بخصائص الإنسان، والاطّلاع على الوسائل المؤثّرة في التربية والتهذيب،

١٢ ..... الشكرُ حصنُ النعم

شريطة أن لا تتصادم مع الأسس العقائديّة، ولا تتنافى مع المبادئ والقيم الأخلاقيّة والتعاليم التربويّة الإسلاميّة.

## أهداف المؤسسة

تجدر الإشارة - في سياق الحديث عن مؤسسة الخلق العظيم - إلى الأهداف المتوخاة من وراء تأسيسها؛ إذ تهدف إلى:

١- رفد المكتبة الإسلاميّة بالتنتاجات العلميّة التحقيقيّة في المجال الأخلاقي؛ من خلال تأليف الكتب والموسوعات والبحوث والمقالات العلميّة الرصينة.  
٢- إحياء التراث الأخلاقي الإسلامي؛ عبر رصد الكتب والمخطوطات الأخلاقيّة المهمّة، والعمل على تحقيقها ونشرها، وفهرسة التراث الأخلاقي والتعريف به.

٣- النهوض بالجانب الأخلاقي والسلوكي للفرد والمجتمع؛ وذلك عن طريق النشاطات المختلفة التي تخاطب الناشئة والشباب، وطلبة الجامعات، والأساتذة، والكوادر العلميّة والثقافيّة والمهنيّة، وأصحاب الاختصاص في المجال الأخلاقي، مضافاً إلى الأسر، والمجتمعات بأطيافها كافّة.

٤- رصد المحاضرات والدروس والخطب الأخلاقيّة النافعة المؤثرة التي أفادها العلماء والمختصّون في هذا المجال، والعمل على نشرها بأساليب مختلفة؛ كتدوينها وتحويلها إلى كتب، أو نشرها على شبكات الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي.

٥- إقامة المؤتمرات العلميّة، والندوات البحثيّة المختصّة؛ من أجل إثراء الفكر الأخلاقي، وفتح آفاق بحثيّة جديدة تُناسب روح العصر ومتطلباته، وإقامة الدورات المختصرة في الأخلاق العمليّة، سواء منها ذات الموضوعات العامّة، كالأخلاق الإسلاميّة، أو الخاصّة كأخلاق المهنة، وأخلاق الأسرة، وغيرها.

٦- رصد الظواهر السلبيّة في المجال الأخلاقي، والمشاكل السلوكيّة التي يعانها المجتمع، لتقديم دراسة متكاملة فيها؛ بغية وضع الحلول المناسبة لها.

٧- إعداد البرامج الإعلاميّة التي تُسهم في معالجة المشاكل الفرديّة والاجتماعيّة المختصّة بالجوانب الأخلاقيّة، سواء منها البرامج المُعدّة للبتّ على شاشات التلفاز، أو المناسبة للنشر على شبكات الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعيّ.

٨- رقد الساحة الفكرية بالتنتاجات الأخلاقيّة المهمّة عبر ترجمتها من اللغات المختلفة إلى اللغة العربيّة، وكذلك ترجمة التنتاجات المكتوبة باللغة العربيّة إلى اللغات الأخرى.

٩- فتح آفاق التعاون مع الجامعات والمراكز العلميّة والمؤسسات والشخصيات المختصّة والمعنيّة بهذا الشأن؛ لترشيد العمل وتطويره، والإفادة من الكفاءات في هذا المجال.

١٠- إعداد كوادر متخصّصة بالأخلاق الإسلاميّة؛ من أساتذة وخطباء

وباحثين.

١٤ ..... الشكرُ حصنُ النعم

١١- السعي إلى إعداد المناهج الدراسية في مجال الأخلاق الإسلامية، وتقديمها للمدارس الدينية، والمدارس والمعاهد والجامعات الأكاديمية، والمراكز العلمية الأخرى.

### مشاريع المؤسسة

باشرت مؤسسة (الحلق العظيم) بإنشاء جملة من المشاريع في سبيل الوصول إلى أهدافها المنشودة، سواء المشاريع الطويلة الأمد والاستراتيجية أو غيرها، وقد صدر لها بعض الإصدارات في هذا الصدد، في حين سيرى بعضها النور قريباً بإذن الله تعالى، وهذه المشاريع هي:

#### ١. موسوعة المواعظ الحسنة

يعمل هذا المشروع على تدوين خطب الجمعة الدينية ذات المضامين الأخلاقية، التي ألقاها ممثل المرجعية العليا في النجف الأشرف والمتولي الشرعي للعتبة الحسينية المقدسة ساحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي (دامت بركاته) في الصحن الحسيني الشريف منذ عام (٢٠٠٣م)، وقد عازمت المؤسسة على إخراجها بصيغة كتاب يتسم بتعديل وتحقيقٍ واستخراجٍ للعناوين وغير ذلك.

#### ٢. موسوعة الأخلاق الإسلامية

يهدف هذا المشروع إلى تأليف موسوعة ألفبائية أخلاقية، أو ما يُسمى بـ(دائرة المعارف الأخلاقية) تهتمّ بجمع المفاهيم الأخلاقية من الصفات

والأفعال، وذلك بنحو الترتيب الهجائي، وتقديم عرضٍ كاملٍ ومستوفٍ وموثَّق لكلِّ ما ورد في تلك المفاهيم على وفق الأسلوب المتَّبَع في تدوين الموسوعات ودوائر المعارف؛ من بيان المعنى اللغوي والاصطلاحي، وبيان حقيقة المفهوم الأخلاقي، ووصفه في القرآن والسنة والتراث الأخلاقي، وبيان أقسامه وأسبابه ومناشئه وآثاره ونتائجه، والآلية العملية للتحلِّي به إن كان من الفضائل، والتحرُّز عنه إن كان من الرذائل، وما إلى ذلك من المباحث المتعلقة بكلِّ موضوع؛ وهذا ما يجعل المشروع سابقةً مهمَّةً في المصنَّفات الأخلاقيَّة الشيعيَّة، ومرجعاً قيماً ومعتبراً في الأخلاق الإسلاميَّة.

## ٢. ترجمة النتاجات الأخلاقيَّة

تهدم المؤسسة بترجمة الكتب الأخلاقيَّة المهمَّة باللغة العربيَّة وبالعكس، ونشرها بعد المراجعة الدقيقة لها وتقويمها من قِبَل اللجنة العلميَّة في المؤسسة، وقد تمَّ العمل على ترجمة عدَّة كتب.

## ٤. موسوعة التراث الأخلاقي

تتضمَّن هذه الموسوعة تعريفاً مختصراً بالكتب الأخلاقيَّة على وفق الترتيب الهجائي، مع فهرسة تفصيليَّة للمباحث الأخلاقيَّة في كلِّ كتاب، وتنتهي بفهرس موضوعي للمباحث الأخلاقيَّة في جميع تلك الكتب؛ ليكون دليلاً نافعاً للمحققين والباحثين.

### ٥. إعداد مناهج دراسية أخلاقية

تهدف المؤسسة إلى إعداد مناهج دراسية في مادة الأخلاق لمختلف المراحل في المدارس والثانويات العامة والمعاهد والكليات. وتقوم فكرة المشروع على إحصاء المناهج الدراسية في أهم بلدان العالم وترجمتها ودراسة محتواها، وتقييمها في ضوء معايير الأخلاق الإسلامية لغرض التعرف على نقاط القوة والضعف فيها، لتشريع المؤسسة - بعد ذلك - بكتابة مناهج خاصة لمختلف المراحل الدراسية المذكورة في مادة الأخلاق مستقاة من الأخلاق الإسلامية.

### ٦. الأدب الأخلاقي

إنّ للأدب بالغ الأثر في نفوس مخاطبيه من مختلف الفئات والأعمار والمستويات، وهذا ما يدعو إلى توظيفه في نشر القيم والمفاهيم الأخلاقية النبيلة. وقد رأت المؤسسة أن تعمل على ذلك في مجالين:

الأول: الرواية الأخلاقية؛ ويتم العمل فيه على تأليف روايات أدبية أخلاقية يكون المستهدف فيها فئات الأطفال والناشئة والشباب، من خلال صياغة المفاهيم الأخلاقية، أو كتابة القصص الأخلاقية المأثورة عن المعصومين عليهم السلام والعلماء والعظماء، بأسلوب روائي معاصر متناسب مع الفئات المستهدفة.

الثاني: الشعر الأخلاقي؛ حيث يعمل فيه على توظيف الأشعار الهادفة

ذات المضامين الأخلاقية المؤثرة، وذلك عن طريقين؛ هما:

أ) إعداد موسوعة ألفبائية للأشعار الأخلاقية، حيث تبوّب الأشعار - وفق العناوين الأخلاقية المتضمنة فيها - في ترتيب ألفبائي، لتكون رافداً مهماً للباحثين والخطباء وهواة الشعر والأدب.

ب) كتابة الشعر الأخلاقي في الأحداث المعاصرة؛ فتم دعوة الشعراء والأدباء واستكتابهم لتسليط الضوء على الفضائل الخلقية والظواهر الاجتماعية الإيجابية بغية دعمها وترويجها، ونقد الظواهر الاجتماعية والأخلاقية السلبية ومواجهتها.

### ٧. تحقيق التراث الأخلاقي وتدوينه

تعمل المؤسسة على إحياء التراث الأخلاقي، وذلك عن طريقين:  
الأول: تحقيق التراث المخطوط والمطبوع؛ ويكون عبر جمع المخطوطات المهمة والكتب المطبوعة غير المحققة، لكي يتم العمل على تحقيقها وفق الأساليب الحديثة في التحقيق.

الثاني: تقرير النتاجات الأخلاقية وتدوينها؛ ويتم عبر رصد الدروس والمحاضرات الأخلاقية المؤثرة للعلماء والفضلاء والأساتذة في الحوزة وسائر المراكز العلمية، والعمل على إخراجها على شكل كتب علمية، بما يحتاج ذلك من تنظيم وتبويب وتحقيق للمباحث الواردة فيها.

### ٨. مجلة الخلق العظيم

من المشاريع المهمة للمؤسسة إصدار مجلة علمية مختصة تُعنى بالشأن الأخلاقي، تهتم باستقطاب ونشر البحوث العلمية الرصينة للأساتذة والباحثين.

## ٩. تأليف سلسلة الفضائل والردائل

تعمل المؤسسة على تأليف سلسلة كتيبات في جملة من الفضائل والردائل الأخلاقية، يتم من خلالها مخاطبة الشريحة المتوسطة من القراء، وتتناول المواضيع الأخلاقية المهمة وذات الأولوية الاجتماعية، لمعالجة أهم المشاكل الأخلاقية، والحث على مكارم الأخلاق الإسلامية، والترجيع لها.

## ١٠. إقامة المؤتمرات والملتقيات والندوات الأخلاقية

تعمل المؤسسة على إقامة سلسلة من المؤتمرات والملتقيات والندوات الأخلاقية، بحضور نخبة من الأساتذة والباحثين المختصين بالجانب الأخلاقي، لبيان المواضيع الأخلاقية التخصصية المهمة، وعرض أهم الآراء والنظريات فيها، كفلسفة الأخلاق، وتاريخ علم الأخلاق، والمدارس الأخلاقية، والمقارنة بين علم الأخلاق والعلوم والحقول المعرفية الأخرى وما شابه ذلك؛ بغية إثراء الساحة الإنسانية والدينية بالفكر الأخلاقي الرصين الذي يعتمد بالدرجة الأساس على الأسس والمبادئ الإسلامية.

## ١١. المشاريع الإعلامية

تعمل المؤسسة على إعداد جملة من البرامج الإعلامية المختلفة، سواء منها ما يُعدّ لبث التلفزيوني، أو ما يكون مناسباً للنشر على مواقع التواصل الاجتماعي، من مقاطع وملصقات تعليمية وثقافية ذات مضامين أخلاقية.

## ١٢- إقامة دورات في الأخلاق الإسلامية

من مشاريع المؤسسة الاستراتيجية هو إقامة دورات قصيرة في الأخلاق العملية لمختلف الفئات، يتم فيها تدريس التعاليم الأخلاقية الخاصة بكل فئة من الفئات، كأخلاق المهنة، وأخلاق الأسرة، وما شابه ذلك.

## ١٣- المكتبة الإلكترونية الأخلاقية

قامت المؤسسة بعملية مسح ميداني في المكتبات والمواقع الإلكترونية وجمع النسخ المتوفرة للكتب الأخلاقية والتربوية؛ لتكون مصدراً مهماً للباحثين في هذا المجال، ل يتم العمل على إعداد تطبيق مختص بالمجال الأخلاقي.

## هذا الكتاب

إنّ هذا الكتاب الذي بين يدي عزيزي القارئ (الشكر حصن النعم) - وكما هو واضح من عنوانه - يتناول موضوعاً مهماً جداً ألا وهو الشكر بما له من مساس وتأثير محوري على حياتنا كأفراد ومجتمعات. وهو في طابعه العام يتمثل بخطاب توجيهي وإرشادي يهدف إلى جعل الشكر ثقافةً عامةً للمجتمع ومنهاجاً وأسلوب حياة للأفراد. وهذا - في الحقيقة - ما يوحي به عنوانه فإنّ معنى (الشكر حصن النعم) هو كونُ الشكر - كفعل وسلوك فرديٍّ أو مجتمعيٍّ - حافظاً للنعم ومدياً لبقائها ومانعاً عن زوالها.

٢٠ ..... الشكرُ حصنُ النعم

وقد امتاز بالتنوع في الأسلوب والمصادر والموضوعات المبحوثة واستُعين في كثير من مواضعه بالقصص والحكم مضافاً للآيات القرآنية والأحاديث الشريفة وكل ذلك كان بلغة سلسة واضحة، مع الحفاظ على الدقة ومقتضيات الفصاحة والبلاغة قدر الإمكان.

وقد ساهم عدّة من الإخوة الأفاضل في إعداد هذا الكتاب، فشكر الله سعيهم وبارك جهودهم، وأحسن جزاءهم؛ ونخصّ بالذكر منهم: فضيلة الشيخ زياد الساعدي، وفضيلة الشيخ إسكندر الجعفري؛ إذ كان لهما دورٌ كبيرٌ ومحوريٌّ في هذا العمل، فنسأل الله العليّ القدير لهما دوام التوفيق والسداد.

كما أنّ للأساتذة الكرام؛ أعضاء اللجنة العلميّة في مؤسّسة الخلق العظيم جهوداً متواصلة في الإشراف العلمي على العمل والمراجعة المتأبّية للكتاب، وإبداء الملاحظات القيّمة التي أسهمت في خروجه بهذه الحلّة القشبية، فشكر الله سعيهم وجزاهم خير جزاء المحسنين.

ونرى لزاماً علينا أن نتقدّم بالشكر والامتنان لساحة المتولّي الشرعي للعبة الحسينيّة المقدّسة الشيخ عبد المهدي الكربلائي (دامت بركاته)، على رعايته للمؤسّسة ودعمه لمشاريعها، فنسأل الله تعالى أن يمدّ في عمره، ويجعل هذا المشروع المبارك ذخراً له ولنا.

وختاماً: نرجو أن يساهم هذا العمل المتواضع في التعريف بشيء يسير من علوم القرآن الكريم، والعترة الطاهرة عليهم السلام، وأن يشارك في نشر الفضيلة والخلق الرفيع في مجتمعاتنا الإسلامية، ونسأل الله تعالى أن يتقبل منا ومن القائمين على هذا العمل والمنجزين له بأحسن القبول، وأن يجعله ذخراً لنا ولهم جميعاً يوم نلقاه؛ ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿١﴾﴾ ﴿إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾<sup>(١)</sup>.  
والحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً.

الشيخ صباح الساعدي

مدير مؤسسة الخلق العظيم

١٧ / جمادي الأولى / ١٤٤٤ هـ

١٢ / ١٢ / ٢٠٢٢ م



## مقدمة

من الواضح أنّ للبحث الأخلاقي مستويين تتوزع عليهما الدراسات والكتب الأخلاقية، وهما: المستوى النظري - أو ما قد يعبر عنه بفلسفة الأخلاق - فيبحث فيه عن معنى الخير والشر، وعن المقياس الذي يقرّر في ضوئه أنّ الفعل الكذائي هو من مصاديق الخير أو من مصاديق الشر، ويبين لنا ما هي الغاية التي ينبغي أن يقصدها الناس بأفعالهم ونحو ذلك<sup>(١)</sup>، والآخر هو المستوى العملي الذي يركّز على الجانب التطبيقي، ويتناول مفردات الخصال والأفعال الصالحة، كالصدق والأمانة والإحسان والشجاعة والكرم ونحوها، ويبيّن آثارها الإيجابية، والوسائل التي تساهم في تحصيلها وتنميتها، وهكذا مفردات الخصال والأفعال الطالحة، كالكذب والخيانة والجبن والبخل ونحوها، وما لها من عواقب سيئة، وطرق التخلص من هذه الخصال والابتعاد عن مثل هذه الأفعال، أو ما يساعد على الوقاية منها، ونحو ذلك.

ولا يخفى أنّ لكلا المستويين من الأبحاث الأخلاقية فائدته في مجاله، وأنّه لا غنى بأحدهما عن الآخر؛ لوجود ترابط بين الجانبين: (النظري والتطبيقي)، إذ إن هناك علاقة تفاعل وانفعال في ما بينهما.

---

(١) أحمد أمين، الأخلاق: ص ٩.

وبسبب التلاقيح بين هذين المستويين والترابط فيما بينهما نجد القرآن الكريم يقول في بعض المواضع: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَبَزَّكَيَّهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾<sup>(١)</sup>، فجعل غاية بعث الرسول هي تزكية العباد وتعليمهم، فقدّم التزكية التي تمثل الجانب التطبيقي على التعليم والذي يمثل الجانب النظري، بينما تراه في موضع آخر ينقل فيه دعاء إبراهيم وإسماعيل عند تشييدهما البيت الحرام يقولان فيه: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾<sup>(٢)</sup>، فقدّم فيه التعليم على التزكية، أي: بالعكس من الترتيب في الآية السابقة؛ إشعاراً بالترابط المذكور بين المستويين، وإشارةً منه عَزَّ وَجَلَّ إلى حالة التفاعل بينهما، وتأثر كلٍّ منهما بالآخر<sup>(٣)</sup>.

وعلى أية حال، فهذا الكتاب باعتباره جزءاً من سلسلة كتب تتحدث عن الفضائل والردائل - والتي تهدف إلى دعم الجانب الأخلاقي بشكل مباشر،

(١) آل عمران: آية ١٦٤.

(٢) البقرة: آية ١٢٩.

(٣) أنظر: الشيرازي، ناصر مكارم، الأخلاق في القرآن: ج ١، ص ١٠ - ١١. ولعلّ نكتة التقديم في مثل الآية الأولى هو أنها في سياق امتنان ويناسبه ذكر الأثر الأهم وهو التزكية، باعتبارها هي الثمرة من التعلم، بينما في الآية الثانية فإنها بصدد بيان دعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام حينما يرفعان القواعد من البيت، ويناسبه البيان بحسب الطبع، وهو يقتضي التعليم أولاً ومن ثمّ حصول التزكية.

والمساهمة في نشر مفاهيمه بين أفراد المجتمع وترسيخ مصاديقه العملية في مجتمعنا - فهو يتحدث عن موضوع يمثل جزءاً حيوياً وعنصراً مؤثراً في حياة الناس على المستويين الفردي والاجتماعي على حدٍ سواء.

وذلك الموضوع الحيوي والمهم هو (الشكر)؛ فإنَّ للشكر أبعاداً مهمة متعددة، فعلى المستوى النفسي للشخص يُعدُّ عاملاً مؤثراً جداً في تحقيق القناعة وحصول الاستقرار والطمأنينة عند الشخص الشكور. وعلى المستوى الظاهري له فهو - أي: الشكر - يُضفي على الشخص صفةً تزيد من مقبوليته لدى الآخرين، وتزيده مزيةً إيجابيةً عندهم بمجرد أن يقابلهم بأسلوب من أساليب الشكر المتعددة. وعلى المستوى الاجتماعي، فإنَّ المجتمع إذا شاعت فيه ثقافة الشكر وتجلَّت به مظاهره المختلفة من المحافظة على النعم، ومحاولة استغلالها في مجالاتها الطبيعية، وعدم التفريط بها، وإعطائها حقَّها من التقدير والاهتمام، فمن دون شكٍّ سيُعدُّ مجتمعاً راقياً وناضجاً، وستكون فرص تقدمه على جميع الاتجاهات - بما في ذلك الجانب المادي والعلمي والتقني - متاحة له بشكل أفضل ممَّن عداه من المجتمعات التي لا تعرف قيمة النعم التي تمتلكها، ومن ثمَّ تفرِّط بها بسهولة، ولا تستغلها في مجالاتها الطبيعية التي تساهم في توفير سبل سعادة أفرادها. ولا يتعد عن الحقيقة من يدعي أنَّ الشكر هو أسلوب حياة للأشخاص، ومنهاج نجاح للمجتمعات؛ ولهذا كان التركيز عليه في تعاليم ديننا الحنيف إلى حدِّ رُبط فيه صدق عبادة الله تعالى بشكره على نعمه فقال: ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ

٢٦ ..... الشكرُ حصنُ النعم

حَلَاظِيْبًا وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١﴾، وجُعِلَ معياراً لتصنيف الناس في ضوئه إلى صالحين وغير صالحين، فقال عزّ من قائل: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾. (٢).

وهذا هو الذي استدعانا إلى الكتابة في هذا العنوان - أعني: الشكر - وتقديمه على ما سواه من العناوين الأخلاقية الأخرى مع أهميتها جميعاً، وقد اخترنا أن يكون اسم هذا الكتاب (الشكر حصن النعم)؛ لأنّ به تسليطاً للضوء على أهم نقطة ركّزنا عليها في صفحاته، وهي ذلك الترابط الموجود بين شكر النعم والمحافظة عليها، وكذلك في ما يقابله من ترابط بين كفر النعم وزوالها، فالشكر حصن يحفظ النعم ويجعلها متمنعة وحصينة لا ينالها الزوال. هذا مضافاً إلى كونه - أي: العنوان - مأخوذاً من التراث الروائي لأهل البيت عليهم السلام، إذ ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «الشكر حصن النعم» (٣).

(١) النحل: آية ١١٤.

(٢) الإنسان: آية ٢ - ٣.

(٣) الأمدى، عبد الواحد بن محمد، غرر الحكم: ص ٢٧٨.

## تمهيد: معنى الشكر وما يتعلق به

### حقيقة الشكر

الشكر هو الثناء على مَنْ أحسن إليك بسبب ما أولاك به من المعروف. ويقال: شكرته وشكرت له، وكلاهما من الكلام الفصيح وإن كان الثاني أفصح<sup>(١)</sup>. والشكران خلاف الكفران الذي هو بمعنى الجحود والإنكار<sup>(٢)</sup>.

وإذا نُسب إلى الله أُريد به المجازاة على فعل المعروف من قبل العبد والثناء الجميل عليه<sup>(٣)</sup>، فنقول: اللهُ يشكرُ المحسِنَ، أي: يُجزيه على إحسانه ويثني عليه. ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup>.

وعلى هذا فإن الأركان التي لا بد من توفرها لكي يتحقق الشكر خمسة: المعروف، والمُحسِنُ الذي صنع المعروف، ومَنْ صنَّع له المعروف - وهو الشاكر - وصدور الثناء منه على المحسِن، وأن يكون هذا الثناء بواسطة ذكر ذاك المعروف أو ما يتعلق به. فمثلاً: لو أعطاني شخص هدية، فقلت له: أنت

---

(١) أنظر: الجوهرى، إسماعيل بن حماد، الصحاح: ج ٢، ص ٧٠٢.

(٢) أنظر: المصدر السابق: ص ٨٠٧.

(٣) أنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ٤، ص ٤٢٣.

(٤) البقرة: آية ١٥٨.

٢٨ ..... الشكرُ حصنُ النعم

مخلص في عملك. لم يكن هذا من الشكر له، وإن كان هو ثناءً مني عليه، بخلاف ما لو قلتُ له: أشكرك على هديتك. أو أنا ممتن لك على الهدية. فإنَّه من الشكر لأنَّه ثناء مني على مَنْ أعطاني الهدية بذكر المعروف الذي أسداه، أعني: إعطائه إياي الهدية.

### الفرق بين الشكر والثناء والحمد

ومما تقدم اتضح الفرق بين الشكر والثناء، فالثناء هو ما تصف به أحداً من مدح أو ذم<sup>(١)</sup>، يعني: سواء كان هناك معروف أسدي لمن يُثنى أم لا، بخلاف الشكر فإنَّه لا يكون إلا إذا كان هناك معروف، فيلاحظه الشاكر في شكره.

وأما الحمد، فقد فسره اللغويون بالثناء الحسن وأنَّه نقيض الذم<sup>(٢)</sup>، وذكروا أنَّه قريب من الشكر، ولكنها يفترقان من جهة، وهي: أنَّ الحمد يكون على العطاء وغيره، فحمد مَنْ أهدى لنا شيئاً على عطيته، ونحمد الشخص على خصاله وأخلاقه الحسنة، بينما الشكر لا يكون إلا على العطاء،

---

(١) وقيل: بل هو خصوص الوصف بالمدح. فنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب:

ج ١٤، ص ١٢٤. وقيل: بل خصوص ما تكرر من المدح. أنظر: أبو هلال العسكري، الحسن

بن عبد الله، معجم الفروق اللغوية: ص ١٥٠.

(٢) أنظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج ٣، ص ١٨٨.

تهيد: معنى الشكر وما يتعلق به..... ٢٩.

فلا تشكر الشخص على حسن خلقه مثلاً<sup>(١)</sup>. وعلى هذا فهما قد يجتمعان كما لو حمد الله على نعمه تعالى باللسان، فقال: الحمد والشكر لله، فهذا حمدٌ وشكرٌ في ذات الوقت، وقد يتحقق الشكر بلا حمد، كما لو جيء بعمل جوارحي شكراً على شيء، كما لو أهديت شيئاً لمن أسدى لك معروفاً، فهذا شكر، ولكنه ليس حمداً، وقد يتحقق الحمد بلا شكر، كما لو حمدت الله بلسانك على غير نعمه وعطائه، كما إذا قلت: الحمد لله الإله القادر المتعال، فهذا حمدٌ وليس شكراً<sup>(٢)</sup>.

---

(١) أنظر: الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس: ج ٧، ص ٤٩.

وأيضاً: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ٣، ص ١٥٦. وأيضاً: أبو هلال العسكري، معجم الفروق اللغوية: ص ٣٠١.

(٢) أنظر: الحلي، ابن فهد، المقتصر من شرح المختصر: ص ١٢.



# الفصل الأوّل

## دواعي الشكر



## الفصل الأول : دواعي الشكر

من الأمور التي فُطر عليها الإنسان شعوره بالامتنان لكلِّ مَنْ يسدي له معروفاً، وميله إلى تقديم الشكر له، بل تجد هذا الأمر مغروساً في نفوس سائر الكائنات الحية عموماً، فتجدها بشكل عام تنجح إلى مقابلة مَنْ يُحسن إليها بالتودد والتقرب إليه على أقل تقدير.

وهناك حقيقة فطرية أخرى - يشهد بها الوجدان السليم - وهي أنّنا كلّما شعرنا بأنَّ مَنْ يصنع لنا المعروف هو مستغنٍ عنّا أو لا غرض له وراء إسداءه للمعروف، كلّما كان شعورنا بالامتنان له أكبر، وبالتالي نميل إلى تقديم الشكر له بشكل أكبر. وهكذا كلّما كان المعروف أكبر كلّما تعاضم شعورنا بالامتنان، وزادت فينا الرغبة إلى التعبير عن شكرنا وتقديرنا لذلك المعروف. ولهذا فلم يبتعد عن الحقيقة مَنْ يقول: إنّ الوصول إلى معرفة الخالق من خلال الإحساس بنعمه وتحسس معروفه؛ لكي نقف منه موقف العرفان، ونعبر له عن امتناننا يكون أقوى تأثيراً من الوصول إلى معرفته بواسطة التفكير الفلسفي والاستدلال العقلي النظري<sup>(١)</sup>.

---

(١) أنظر: العاملي، جعفر مرتضى، تفسير سورة الفاتحة: ص ٦٢. وأيضاً: الشيرازي، ناصر مكارم،

إذن؛ هناك حاجة وضرورة للتعرف على النعم والالتفات إليها لينبتق في ضمائرنا موجبٌ لشعورنا بالامتنان لمن وهب تلك النعم، ويتحقق دافعٌ لشكره عليها، فكما أنَّ من العبث البحث عن تحقق النقش وكيفيته قبل أن يكون هناك عرش تُرسم عليه النقوش، فكذلك ليس من الوجيهة أن نبحث عن تحقق الشكر وأساليبه من دون الالتفات إلى ما يوجهه من نعمٍ تُفاض علينا. وهذا هو ما سيكون محلاً لكلامنا في هذا الفصل.

وبما أنَّ مصدر النعم والأفضال التي تتوجَّه إلينا تارةً يكون هو الله سبحانه وتعالى، وأخرى يكون هو نظراءنا من الناس، فسيكون الكلام هنا في مبحثين: أحدهما في نعم الله علينا، وثانيهما في أفضال الأشخاص الآخرين التي تنالنا منهم؛ مما يوجب علينا شكرهم.

### المبحث الأول: إطلالة حول نعمة الله علينا

ألقت نظري يوماً خبر مثير حول (فيلم) سينمائي اسمه (The Roof) أي: (السقف)، قد فاز بجائزة أفضل فيلم قصير في بعض السنوات، مع أنَّ أحداثه لم تتعدَّ المشهدين، وفي وقت لم يتجاوز العشر دقائق! نعم مشاهدان بعشر دقائق!

وإذا كان يحق لك أن تبدي استغراباً من هذا، ففي الوقت نفسه ينبغي أن يثار لديك الفضول والاستفهام عن سرِّ نجاح هذا الفيلم الغريب، فتساءل: بماذا تميز هذا الفيلم ليطم اختياره كأفضل فيلم قصير؟

في الواقع إنَّ ما وراء ذلك النجاح من سرِّ هو فكرته المثيرة والمؤثرة في المتلقي بشكل سريع وعميق، فحينما يبدأ عرض الفيلم لا يجد المشاهدون غير صورة سقف غرفة، وبينما هم ينتظرون أن تتحرك الكاميرا ليتغير المشهد وتتواصل أحداث الفيلم يبقون على هذه الحالة لمدة ثمان دقائق كاملة، يشعرون خلالها بالملل والازعاج، ثم تتحرك الكاميرا بعد ذلك بشكل بطيء لتتجه إلى الأسفل، فتظهر صورة صبي مشلول مستلقٍ على ظهره، فتكتب على الشاشة عبارة حاصلها: هذه الصورة التي مللتم من الاستمرار بمشاهدتها لمدة ثمان دقائق، تمثّل ما يراه هذا الصبي طيلة حياته، فعلياً أن نشكر الله على ما أعطانا، وأن نرضى بما لدينا لننعم بحياة أفضل<sup>(١)</sup>.

ما أكثر ما نسمع ممن حولنا من الناس وهم يعددون مشاكلهم لنا ويستعرضون معاناتهم! وما أكثر ما نشاهد من علامات عدم رضا الناس بما لديهم! وكم نلمس في بعض الأشخاص تحسّرهم على ما حُصَّ به غيرهم من نِعَم مما لم يحصلوا على شيء منها! وما أقلُّ أولئك الذين يلتفتون إلى أنَّ ما حصلوا عليه هو أكثر بكثير مما فقدوه، وأنَّ بعضاً منه - كالعافية مثلاً - لو خيّر بينه وبين ملك الدنيا أجمع لما ضحّى به.

---

(١) من مقال منشور في جريدة (الجزيرة) السعودية اليومية، العدد ١٧٣٢٧ ليوم الإثنين ١٤

رجب ١٤٤١هـ، الموافق ٩/٣/٢٠٢٠م. وهو منشور في شبكة الإنترنت في الرابط أدناه:

ولو عرضتَ على مجموعة من الناس كأساً من الماء لكن المقدار المملوء كان بمقدار النصف، وسألتهم ماذا ترون أمامكم؟ فإنَّك ستجد صنفين من الإجابات، ففي حين تسمع الإجابة من بعضهم: أرى نصف الكأس مملوءاً بالماء. فإنَّك ستجد من بينهم مَنْ يجيبك بأنَّه يرى نصف الكأس فارغاً!!

وهكذا هي حالنا في الحياة، فنظرنا إلى الأمور قد تختلف من شخص لآخر، ولربما في الشخص الواحد بين حالةٍ وأخرى ومن حينٍ إلى آخر، بشكل قد يؤثر على نفسيتنا سلباً أو إيجاباً، وربَّما أثر ذلك أيضاً على محدّدات شخصيتنا، ووجّه وجهات نظرنا بشكل ملحوظ.

إنَّ عبارة: السعادة تنبع من الداخل هي صحيحة إلى حدٍّ بعيد، فقد يعيش الإنسان في وسط مليء بمقومات الحياة السعيدة وتجدّه - بسبب عدم التفاته أو بسبب نظرتّه التشاؤمية أو غير ذلك - تعيساً، وهنا تُدرك صحة ما نقل عن بعض علماء النفس: «إنَّ الله يغفر خطايانا، ولكن جهازنا العصبي لا يغفرها لنا قط»<sup>(١)</sup>.

وقد تجد العكس متحققاً، فكم من شخص ليس لديه من تلك المقومات شيء ظاهر لك، وتراه سعيداً راضياً بما عنده، وإذا سألته عن سرِّ سعادته سينطلق بك في عالم رحب من النعم التي خفيت علينا، ولكنها حضرت لديه واستشعرها هو بفطنته وفطرته السليمة، فكان ذلك عاملاً مهماً في سعادته.

(١) ديل كارنيجي، دع القلق وابدأ الحياة: ص ٥٥.

ولا بأس أن نستعير هنا خاطرة والتفاتة لطيفة لبعض الكتّاب<sup>(١)</sup> يقول فيها: إنَّ فرعون على عظمته وخطرتة كان أفضل ما لديه من وسيلة نقل هي العربة التي تجرها الخيول، وأنت تتنقل بأفخر السيارات والقطارات والطائرات، وإمبراطور فارس كان يضيء قصوره بالشموع وقناديل الزيت، وأنت تتنعم بالكهرباء، وقيصر الروم كان يستسقي من ماء الكوز، وأنت يصلك الماء المعقم بالأنايب وتشربه مبرِّداً بالبراد الكهربائي، والخليفة كانوا يروّحون عنه قيظ الصيف بمراوح ريش النعام ليتحرَّك الهواء حوله قليلاً، وأنت بالضغط على زرٍّ واحد تجعل مكانك ربيعاً ببركة مكيفات الهواء التي صارت بمتناول أكثر الناس، وهكذا ما شاء الله من المقارنات التي يمكنك استحضارها لتدرك بأنك حقاً تعيش حياةً لم تكن بمتناول أعظم أباطرة التاريخ.

ولكن بالرغم من ذلك كله يقلب أكثرنا تلك الحياة إلى جحيم، فمن يملك بيتاً ينظر إلى الذي يملك قصرأً، والذي لديه سيارة يغبط من عنده أفخر منها، والذي يشغل منصباً وظيفياً يحسد من تسنم منصباً أرفع، ويتهي الأمر بنا إلى أن يعادي بعضنا بعضاً، ويظلم بعضنا بعضاً، فتتحول حياتنا إلى جحيم لا يُحتمل، ونعود نلعن واقعنا ونشكو غياب العدالة الاجتماعية،

---

(١) أنظر: مصطفى محمود، الشيطان يحكم: ص ١١٧.

٣٨ ..... الشكرُ حصنُ النعم

ونغفل عن حقيقة كوننا نحن لا غيرنا مَنْ صَيَّرَ حياتنا التي تفوق رخاءَ ورفاهيةَ حياة الأباطرة جحيماً لا يُطاق، ونسى أننا نحن لا سوانا مَنْ جعل كلَّ واحدٍ منّا إمبراطوراً تعيساً وبائساً.

### النعم الظاهرة والباطنة

النعم التي تحيط بنا على قسمين:

القسم الأول: النعم الظاهرة، وهي تلك النعم التي يشعر بها الناس ويدركون أهميتها؛ ولذلك فهي منظورة إليهم عادة، ويكونون حريصين على الاحتفاظ بما لديهم منها، ويسعون إلى الحصول على ما ليس لديهم منها، من قبيل الأموال والأولاد والوجاهة والمنصب الوظيفي ونحو ذلك.

القسم الثاني: النعم الباطنة أو الخفية، وهي النعم التي يحصل عليها الناس ويتنعمون بها فعلاً، ولكن لا يلتفتون إليها وإلى أهميتها عادة، من قبيل أصل وجود الإنسان وبقائه في الحياة، وحصوله على فرصة مناسبة للتعلم، وعلى ظروف معيشية مناسبة، وتنعمه بتعام العافية، ونحو ذلك.

وقد جاءت الإشارة إلى هذين النوعين من النعم في القرآن الكريم، حيث قال تعالى ﴿الَّذِينَ تَرَوُا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾<sup>(١)</sup>.

(١) لقمان: آية ٢٠.

ولعلَّ النعم الخفية والباطنة أكثر من تلك الظاهرة، وفي كثير من الأحيان تكون أهمَّ منها، ولكن مع ذلك لا يلتفت إليها الناس عادة ولا يهتمون بها. ولخفاء هذه النعم وعدم الالتفات إليها أسباب عديدة، ربَّما كان اعتيادها وسهولة حصولها أهمَّ تلك الأسباب.

هناك عبارة لطيفة تقول: شعرتُ بالقلق لأن لا حذاء لديّ حتَّى التقيتُ في الشارع برجلٍ لا ساقين له. وفي الحقيقة فإنَّ وراء هذه العبارة قصة ينقلها مؤلف كتاب: (فنُّ التعامل مع الناس) جديرة بأن ننقلها هنا، إذ يقول: إنَّه التقى بشخص من أصدقائه القدامى فسأله عن السر الذي يجعله يسيطر على القلق، فأجابه: إنِّي في فترة سابقة كنتُ قد خسرتُ في تجارتي، فمررتُ بضائقة مالية خانقة جعلتني أرى العالم بأسره مظلماً، وفي أحد الأيام كنتُ أسير في بعض الشوارع وأنا يائس بائس، وإذا برجلٍ مبتور الرجلين يعبر الشارع بواسطة لوح خشبي زوّد بعجلات، وحينما وصل إلى الجانب الذي أقف عنده همَّ برفع جسمه بيديه ليصعد الرصيف فأحسَّ بوجودي فرفع رأسه فقابلني بابتسامة عريضة، وألقى عليَّ التحية. ثم قال لي: إنَّه يوم جميل، أليس كذلك؟ حينها شعرتُ بالحنج، وعلمتُ كم أنا واسع الثراء. ومن يومها ألصقتُ عبارة: شعرتُ بالقلق لأن لا حذاء لديّ حتَّى التقيتُ في الشارع برجلٍ لا ساقين له على المرأة ليتسنَّى لي رؤيتها كلَّ صباح<sup>(١)</sup>.

(١) أنظر: ديل كارنيجي، فن التعامل مع الناس: ص ١٤١.

٤٠ ..... الشكرُ حصنُ النعم

فليس منّا شخص إلا وهو غارق بأنواع من النعم التي يغبطه عليها كثير من الناس، ولكننا - بني البشر بشكل عام - أهل غفلة، فقد لا نلتفت إلى الأمور الواضحة، فما بالك بالأمور الخفية التي تحتاج إلى إبراز أو إلفات نظر. قد يكون من الطبيعي أن نلتفت إلى المال، فنلاحظ مقدار ما حصلنا عليه، ونرغب بالحصول على المزيد، وقد نكون راضين عما حصلنا عليه وقد لا نكون كذلك، وربّما نتشكّى ونتململ من وضعنا المادي.

وهكذا يكون الأمر اعتيادياً إذا لاحظ أحدنا ما لديه من بيت وزوجة أو زوج وأولاد وأقرباء وقارن ذلك بنظيره عند غيره من معارفه مثلاً، فيكون إمّا قانعاً بحاله وإمّا ساخطاً.

وأيضاً لا يكون خارجاً عن المألوف من تجده ينظر إلى قوّته الجسدية أو مهاراته البدنية ويقارنها بغيره، فيكون راضياً وواثقاً من نفسه أو جاحداً وغير راضٍ عن وضعه من هذه الناحية.

فهذه النواحي - وغيرها كثير مما له علاقة بالجانب المادي من حياتنا - تكون في الغالب هي المسيطرة على اهتمامات الناس عادةً؛ ولذلك تكون ملاحظتها هي المعيار عندهم في الرضا أو السخط على حالهم، وبالتالي تكون العامل الأوحد ليكون الفرد أو المجتمع شاكراً للنعمة أو جاحداً لها.

هذا، ولكن الحقيقة هي غير ذلك تماماً، فلا بد لنا من إعادة برمجة الأولويات لدينا، أو على الأقل التشكيك بقائمة أولوياتنا، ومن الضروري أن

الفصل الأول: دواعي الشكر ..... ٤١

يتأمل أحدنا في حاله وما حصل عليه في حياته وما وقاه الله منه، ليعلم أنّ هناك نعماً حصل عليها لا يمكنه أن يقدر لها ثمناً، وأنّ هناك أموراً أُزيجت عنه ولم يُبتل بها قد يجد مَنْ ابتلي بشيء منها من له استعداد بأن يهب كلّ ما لديه من أموال وأملاكٍ مثلاً في سبيل خلاصه من ذلك الابتلاء.

وأهمُّ مبدأ ينفع في هذا المجال هو أن يضع الشخص نصب عينيه هذه الحقيقة، وهي أنّ نعم الله علينا لا تنحصر بمحاور اهتماماتنا، وأنّ هناك نعماً ومكاسب خافية علينا نحصل عليها من دون شعور بها. فهذه الحقيقة ستكون باعثاً لنا لإعطاء العنان لفكرنا من أجل إعادة النظر في نعم الله علينا، ليبحث عن تلك المواهب غير المنظورة ويلتفت إليها، لنشكرها ونسعى للحفاظ عليها، ولتقنع أنفسنا وترضى بما لديها، فنحصل على الطمأنينة والسكينة.

وفي الواقع فإنّ النعم محيطة بنا لدرجة لا يمكننا إدراكها وإحصائها، فضلاً عن إعطائها حقها وشكرها. وكم من نعمة لا نشعر بها إلا إذا فقدناها، فلينظر الإنسان إلى بدنه كيف استقام قوامه وكيف يمشي على رجلين اثنتين محافظاً على اتزانه، وكيف زوّد بيدين يستعين بهما في الدفاع عن نفسه وقضاء حوائجه، ولينظر إلى نعمة حاسة البصر والسمع واللمس والتذوق.

كما أن بعض الأمور تجري فينا على أتم ما يمكن وبدقة متناهية من دون أيّ شعور منّا، فالتنفس القائم على الشهيق والزفير غير الإراديين من

يُديرهما؟! وفي طيلة فترة عمر الإنسان كم عملية شهيق وزفير قام بها جهاز التنفس الذي نمتلكه، ولو توقفت تلك العمليات لمدة قصيرة لفارق الإنسان الحياة. وهكذا الدم يجري في عروقنا في دورة في منتهى الدقة، ننام ونستيقظ ونجري ونتوقف ونقوم ونجلس ونزاول أعمالنا، نفعل كل ذلك وغيره ونحن غافلون تماماً عن تلك العملية الدقيقة المستمرة، والتي لو توقفت وقتاً يسيراً لفارقنا الحياة.

ونأكل ونشرب ما نشتهي من الطعام والشراب، ولكننا بمجرد أن نتناول ذلك ويدخل جوفنا لا يكون لنا دراية بما يجري له في داخلنا، ونغفل عن تلك العمليات الهضمية العجيبة التي يجريها جهازنا الهضمي على تلك الأطعمة والأشربة، والتي لو تعطل فيها عمل عضو واحد من أعضاء الجهاز الهضمي لبقينا نعاني ولسلبنا طعم الراحة.

وربما احتفظت أذهاننا بصور قائمة لبعض الأمور، ولكننا بالتأمل سنجد تلك الصور غير معبرة عن واقع تلك الأشياء، فالألم مثلاً يحتفظ ذهننا بصورة سيئة عنه؛ لما يسببه لنا ولأحبتنا من معاناة، ولكننا نغفل عن فائدته العظيمة لنا، فلتخيل أن عضواً داخلياً مثلاً فينا يمرض ولا نشعر بألم فنبقى لا نعلم به حتى ينتهي أمره، ويتوقف عن عمله تماماً ونحن لا ندري. ولعل الأورام السرطانية سميت بالخبيثة لأنها تنتشر بالجسم ولا يشعر بها الشخص إلا بعد استفحالتها وفوات الأوان، ولو أن المريض شعر بالألم من بدايات تكونها لسهل أمر علاجها.

قد ينزعج بعضنا من ظلمة الليل وزوال نور الشمس وما يرافقه من فترة نشاط وحيوية في أداء أعمالنا وقضاء حوائجنا، ولكن تحيّل لو أنّ الليل فعلاً لم يحل وقضيّنا بقية أعمارنا في نهار مستمر فكيف ستكون حياتنا؟!

وهكذا يتدمر كثيرون من نزول الغيث إمّا لما يرافقه من تجمع للمياه في الشوارع أو لتقيّد الحركة أثناء نزوله أو لغير ذلك، ولكنهم يغفلون عن تلك الفوائد العظيمة التي نحصل عليها بسبب هطول الأمطار، من سقي للزرع، وترطيب للأجواء، وتحسين للتربة، وزيادة مناسب المياه في الأنهار والبحيرات مثلاً.

ولا تقتصر فقرات القائمة اللامتناهية من النعم التي أُغدقت علينا على ما يرتبط بالجانب المادي، فلو أجملت الفكر في تلك العطايا المعنوية التي حصلنا عليها خلال حياتنا لوجدت أنّها لا تقل عن العطايا المادية أهمية وعدداً.

فأصل وجود العائلة التي تحتضنك، وكونها عائلة حسنة وذات سمعة طيبة، والعيش في مجتمع محافظ على المظاهر الدينية والظواهر الاجتماعية الحسنة، ومراعٍ بشكل عام للقيم الأخلاقية، والحصول على أصحاب جيدين، والمقبولية والوجاهة لدى الناس، وطاعة الزوجة أو مداراة الزوج، ورفق الوالدين، واحترام وطاعة الأبناء، وغير ذلك الكثير، كلّها نعمٌ قد لا يشعر بها سوى من افتقدها.

ويهدينا الإمام زين العابدين عليه السلام في بعض مناجاته مع الله إلى معنى أنَّ نعم الله غير متناهية، وأننا لا يمكننا أن نشكره سبحانه وتعالى على كل نعمة نعمة حينما يقول: «فكيف لي بتحصيل الشكر، وشكري إياك يفتقر إلى شكرٍ»<sup>(١)</sup>، فالتوفيق إلى شكر النعمة هو في الحقيقة نعمة أخرى يتفضل بها الله على عبده تستحق الشكر أيضاً.

ومن هنا؛ يقفز إلى الذهن التساؤل التالي: إذا كان الأمر كذلك بحيث ما شكرتُ الله على نعمة إلا ويلزمني أن أشكره على شكري إياه على تلك النعمة، فكيف إذن يمكننا شكره حق الشكر؟

وفي هذا المجال ينقل لنا الإمام الصادق عليه السلام أنَّ الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام يطلب منه أن يشكره حقَّ شكره، فقال موسى عليه السلام: «يا ربُّ، وكيف أشكرك حقَّ شُكرِكَ وليس من شُكرٍ أشُكرُكَ به إلا وأنت أنعمت به عليّ»، فقال له الله تعالى: «يا موسى، الآن شكرتني حين علمت أنَّ ذلك مني»<sup>(٢)</sup>.

فالنعم الباطنة والخفية أكثر من أن تُحصى في كتاب أو مقال، ولكن حيث إنَّ ما لا يدرك كلُّه ينبغي أن لا يُهمل كله، فسنحاول تسليط الضوء على بعض تلك النعم المهمة وبها يتناسب والمقام:

(١) الصحيفة السجادية: ص ٤١٠.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٩٨.

## أهمّ النعم الباطنة

وأهم تلك النعم التي - مع أهميتها العظيمة - تكون مغفولاً عنها عادة:

### ١- نعمة أصل الإيجاد

فمن تلك النعم الخفية نعمة الإيجاد والخلق، فكثير من الناس إذا ذكّرتهم بنعمة الإيجاد وحدّثتهم عن عملية ابتداعهم من العدم حيث لم يكونوا شيئاً مذكوراً، وإذا بهم بعد ذلك يكونون من ماءٍ مهين أجنّةً في بطون الأمهات، ثمّ يبلغون حتى يكونوا رجالاً ونساء ذوي بصر وبصيرة، فإنّهم سينكرون عليك عدّ ذلك نعمةً، وسيسارعون بالقول: بأنّهم لو لم يأتوا إلى هذه الحياة لكان خيراً لهم؛ لما عانوه في حياتهم من الآم، وما واجهوه من مأسٍ. وفي الحقيقة يذكرنا هذا بالأولاد الصغار حينما يمنعهم الأبوان من بعض الأمور التي يرغبون بها فيغضبون ويستمعون أبويهم كلاماً حاداً ويصرحون لها بأنّهما يمنعانها من كلّ شيء، على العكس من آباء أصدقائهم الذين يسمحون لهم بهذا الأمر، وأنّهما لم يُعطيهاهم شيئاً حسناً في حياتهم! أو يذكرنا بتلك الزوجة التي بمجرد أن يمنعها زوجها من شيء أو يقع بينهما خلاف تصيح بوجهه أنّها لم تر منه خيراً في حياتها. إنّها في الحقيقة طريقة النظر بالأنبوب، فكما لا يرى الذي ينظر بواسطة الأنبوب سوى ما تستوعبه فتحة الأنبوب فكذلك أمثال هؤلاء الأشخاص لا ينظرون إلا من زاوية واحدة وفي مساحة ضيقة. فبكل تأكيد من يصدر منه مثل هذا الكلام لا يكون حاضراً في ذهنه سوى

مظاهر المعاناة؛ بسبب نظرتهم السلبية والضيق، فالطفل حينما تمنعه من شيء لا يرى في الدنيا سوى ذلك الشيء، ويرى - حينما لا تعطيه ذلك الشيء - أنك منعته من كل شيء، وهكذا بعض الزوجات فإنها - بحكم عمق انفعالها وانسياقها مع عواطفها بحسب طبيعتها - حينما تُستثار تنسى كل ما قدّمه لها زوجها من خدمات جليلة لم يبذل لغيرها في حياته أقلّ من عُشرها، ولا تجد أمام ناظرها حاضراً سوى ما تلقاه منه الآن من ظلم وإجحاف - في نظرها - وهذا الاعتبار يمكن عدّها صادقة ومحقة في كلامها إذا ما راعينا الظروف والدوافع لكلامها في وقتها. ولكنّها بمجرد أن تنال من زوجها ما كانت تطالب به، أو تنسى أصل طلبها، أو ينجح هو أخيراً بإقناعها ترجع إلى وضعها الطبيعي، فتراه فارس أحلامها، وولي نعمتها الذي بذل عمره في سبيل إسعادها!!

وهكذا حال الجاحدين لنعمة الخلق والإيجاد، فلا يكون حاضراً عندهم وقتها غير ما واجهوه في حياتهم من مصاعب، وما تجرّعوه من آلام، ولو التفتوا إلى ما يحصلون عليه من مغام مادية ومعنوية في حياتهم الدنيا - على الأقل - وكيف أنّ بعض تلك الأمور تفوق عنده ملك الدنيا وما فيها، وعرفوا أنّ ذلك كله متفرع على أصل وجودهم، وأنهم لو لم يخرجوا من العدم لما نالوا منه شيئاً، لتغيّرت نظرتهم واختلف حكمهم وزال جحودهم لهذه النعمة العظيمة.

ولو أنك خيّرت أحدهم بين أن يكون ذا عافية أو فاقداً لها لما تردد في اختيار أن يكون معافى، أو خيّرته بين أن يكون له زوجة وأولاد أو لا يكون له شيء من ذلك لبادر باختيار أن تكون له أسرة يعيش وسطها وتعيش هي في كنفه، وهكذا لو أنك عرضت عليه أن يكون له منصب وظيفي رفيع أو لا يكون له مثل ذلك لا اختار أن يتسّم منصباً رفيعاً. وفي جميع ذلك لا تجده يلتفت لما سيواجهه من ضغوطات ومشاكل تقارن تلك الأمور. وهل يتردد أحدنا في أن يفضل أن يكون معافى ويتحمّل مسؤولية إعالة عائلة كاملة، جميع أفرادها مقعدون بسبب المرض على أن يكون هو واحداً منهم فيتكفل إعالته غيره؟ وهل ترى أن يكون احتجاج الأهل على عدم تزويج ولدك بسبب ما سيواجهه من ضغوطات المعيشة وما يرافق الحياة الزوجية من مشاكل عذراً مقبولاً لدى ابنهم؟ وهكذا ألا ترى أنّ الموظفين لا يتوقفون عن الطموح في الحصول على المنصب الرفيع لمجرد أنّ التصدي لهذا المنصب سيجلب لهم مشاكل ومتاعب.

وهكذا مسألة أصل الإيجاد - التي تتفرع عنها كل ما يواجهه الفرد من مكاسب وخسائر - ينبغي أن لا يجعلنا نتصور المتاعب التي تحصل لنا في حياتنا جاحدين لهذه النعمة العظيمة، وعلينا أن لا نخالف وجداننا فتتدمر ونتشكّي من حياتنا وما لاقينا فيها، ونحكم بأننا لو لم نخلق لكان خيراً لنا، وحينما ترجع إلى واقعنا نجدنا متمسكين بوجودنا ومتشبّثين بالحياة، وكادحين فيها من أجل مكاسبها.

إنَّ هذه المعطيات ونظائرها مما هو كثير جداً، تجعلنا مطمئنين بأنَّه لو قُدِّر لنا - ومن باب أنَّ مجرد فرض المستحيل ليس مستحيلاً - أن نخيَّر ونحن في العدم بين أن يُفاض علينا الوجود فيكون لنا إدراك وشعور وقدرة واختيار وأن نحيا وسط أناس فيهم الأخيار والأشرار وتكون لنا عائلة نسكن إليها ... وبين البقاء في دائرة العدم، فبكل تأكيد سوف لا نحيد عن اختيار الوجود، حتى لو علمنا بما يرافقه من مصاعب وآلام، لا سيَّما إذا أدخلنا في الحساب النظرة الدينية واعتقاداتنا الإيمانية بوجود الحياة الأخرى التي تُجازى فيها بطريقة الحسنة بعشر والسيئة بواحدة، وأنَّ باب التوبة مفتوح لآخر العمر، وأنَّ جزءاً من ينجح في اختبار الحياة الدنيا القصيرة جداً - نسيّاً - تكون له الحياة الأبدية الخالية من كل المنغصّات في الآخرة.

## ٢- نعمة الاستقامة والرشاد

ومن النعم العظيمة جداً أيضاً نعمة الاستقامة والرشاد، فهي لا تقل أهمية عن نعمة الإيجاد، وإلا فما الفائدة من وجود الشخص إذا كان هو يعيش حياة انحراف يؤنَّب فيها ضميره في كلِّ وقت ويزدرية الناس أينما حلَّ.

إنَّ جولة سريعة في مواقع شبكة الإنترنت بحثاً عن حكايات مدمني المخدرات وقصص الانتحار سوف ترشدك إلى أنَّ الدافع للإدمان أو الانتحار هو في الغالب عدم رضا الشخص عن نفسه وملاحقة ضميره في تأنيبه إياه؛ بسبب انجرافه في حياته إلى بؤر الخطيئة، ووصوله إلى طريق

مسدود يشعر معه باليأس من الحياة، فيضحّي بأعزّ ما يملكه الإنسان - وهو حياته - لقناعته بأنّها من دون الحفاظ على الاستقامة لا تساوي شيئاً.

إنّ الاستقامة والرشاد يعرفها ويقدرها الجميع، فصحيح أنّ أكثر الناس لا يلتفتون إليها كنعمة تستحق أن تُشكر وتوجب السعي للحصول أو المحافظة عليها، ولكنّهم جميعاً يدركون بوجدانهم الباطني فضيلتها، ويقدرّون بتعاملهم اللا شعوري قيمتها ومدى أهميتها؛ ولهذا تجد حتى المنحرفين في قرارة أنفسهم يقدرّون ويحترمون الإنسان المستقيم.

فحينما اختارت امرأة عزيز مصر زليخا والنسوة اللاتي معها سلوك الطريق الخاطئ مع يوسف عليه السلام كنّ يستشعرن قبح فعلهن بسعيهنّ إلى جرّه إلى ممارسة الرذيلة معهنّ، ويذكرنّ حُسنَ فعل يوسف عليه السلام حينما مانع وأصرّ على الثبات في طريق الاستقامة، ولكنّهن ارتكبن ذلك بدافع الشهوة والانسحاق مع الرغبات؛ ولهذا فحينما أرسل إليهنّ الملك وسألهنّ - بطلب من يوسف عليه السلام - عن حكايتهن معه كان جوابهن: ﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتْ أُمَّرَأَتُ الْعَزِيزِ أَكُنَّ حَصْحَصَ الْحَقِّ أَنَا رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿١﴾

ويقال: إنّ زليخا أصبحت بعد ذلك فقيرة وابتضت عينها من الحزن على يوسف، فمرّ بها يوماً وهي جالسة على قارعة الطريق، ولم يتعرّف عليها،

٥٠ ..... الشكرُ حصنُ النعم

فاستوقفته وقالت له: الأمانة أقامت المملوك مقام المملوك، والخيانة أقامت المملوك مقام المملوك<sup>(١)</sup>.

ومن المفارقات التي تعيشها مجتمعاتنا أنَّ الأهل حينما يبحثون عن زوجة لابنهم السيئ، فإنهم لا يرضون بالبنت السيئة، ويذهبون بعيداً في التدقيق وراء كل بنت ينوي الإقدام على خطبتها، ويسعون إلى الحصول على أقرب الفتيات إلى العفة، وأكثرهنَّ استقامة وأحسنهنَّ أخلاقاً! وهذا في الحقيقة يؤكد ما ذكرناه من إدراك الجميع لفضيلة الاستقامة وإدراك قيمتها في قرارة أنفسهم.

وصحيح أن أكثر الناس قد يقعون في الخطأ، ويخرجون عن السير على الصراط القويم، ولكن كل شخص متناً - بما في ذلك من يخطئ - له حظٌّ من الاستقامة والرشاد، وبدرجات متفاوتة بين الأفراد. وكلما كانت درجة رشاد الشخص واستقامته عالية كلما لزمه شكر هذه النعمة العظيمة والاجتهاد في المحافظة عليها والسعي لتطويرها بشكل أقوى.

ولكن تبقى هذه النعمة هي كذلك من النعم الخفية التي غالباً ما يغفل الناس عنها.

ومن أهم أسباب الغفلة عنها هو توهم أن الاستقامة - والابتعاد عن سبب الانحراف وعدم الوقوع في مستنقعات الجريمة - هو وضع طبيعي

---

(١) أنظر: ابن عابدين، محمد أمين، حاشية رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار: ج٦،

بالنسبة إلى الشخص، خصوصاً ذاك الذي تلقى تربيةً صحيحة، وعاش في أكناف أسرة محافظة نسبياً مثلاً، أو كان لديه مقدار كافٍ من الوعي والثقافة العامة أو الدينية، فالذي يسلك تلك الطرق ويقع في تلك المستنقعات عادةً هو ذلك المشرّد الذي لم تكن ظروفه بالنحو الملائم. وكأنّ مثل هذا الشخص قد غفل عن حقيقة واضحة، وهي أنّ صيرورته من هذه الأسرة وفي تلك البيئة المحافظة وتوافر الظروف المناسبة لتلقي التعليم المناسب والحصول على الوعي الكافي ونحو ذلك كله لم يكن باختياره، وليس هو مقدوراً عليه بالنسبة إليه أصلاً، بل هي أمور بيد الله سبحانه وتعالى، وإن أعطاه الله لأحد فهو من باب اللطف به والتفضل عليه، وليس هو أمراً مستحقاً له.

إنّ من الأخطاء الكبيرة هو أنّ نتخيل أنّ مكتسباتنا على الصعيدين المادي والمعنوي هي استحقاقات على الله يلزمه أن يحققها لنا.

### ٣- نعمتا الأمن والعافية

ورد في الحديث الشريف عن النبي ﷺ قوله: «نعمتان مجهولتان: الأمن، والعافية»<sup>(١)</sup>. والمعنى المقصود بشكل عام من الحديث واضح؛ فقليل من الناس من يلتفت إلى نعمة الأمن إن كان حاصلاً عليها، وهكذا قليل منهم من يتحسّس نعمة العافية إذا ما كان معافى، وأكثرهم لا يدرك أهمية هاتين النعمتين إلا بعد أن يفقدهما.

(١) أنظر: الفتال النيسابوري، محمد بن الفتال، روضة الواعظين: ص ٤٧٢.

فحَقًّا غَرِيبٌ أمر هاتين النعمتين، فمن جهة تبلغ كُلُّ منهما الذروة من بين احتياجاتنا حتى يصل الأمر إلى أن لا تكون حياة الشخص قيمة من دون إحداهما، فأَيُّ حياة تلك التي يعيشها مَنْ لا يجد له ولعياله مكاناً آمناً يستقر فيه، وأَيُّ ساعات يقضيها ذاك الذي يسلك طريقاً يتوقع فيه ظهور قطاع الطرق من المجرمين أو الإرهابيين في أَيِّ لحظةٍ، أليس الذعر والقلق يذهلانه عن لذة الاستمتاع بأوقات السفر الجميلة أو بمناظر الطريق الخلابة؟! إِنَّ جولةً بسيطةً في مخيَّات المهجَّرين بسبب الحروب وأعمال العنف تطلُّع فيها على أوضاع العوائل التي تقطنها وتستمع فيها لبعض قصصهم التي عاشوها لتُعطيكَ صورةً كافيةً عمَّا ينعم به أكثرنا من نعمة الأمان والاستقرار. وهكذا الأمر مع العافية، ففي حال المرض لا تجد لذةً لشيء، ولا سيما في بعض الأمراض التي تبلغ فيها الآلام درجةً يتمنَّى المرء معها الموت والفناء. بل ربَّما يمر بأحدنا مرض عارض بسيط كوجع الأسنان أو الحمى أو الصداع فيسلب منَّا كلَّ لذة، ويشغلنا عن كل شأن في حياتنا. هذا كلُّه من جهة.

ومن جهة أخرى، غالباً ما تجد الناس غافلين عن هاتين النعمتين حتى إذا استوقفت أحدهم وطلبت منه أن يعدَّ ما وهب من نعم فلا تجد سهماً لما يمتُّ لها بأي صلة في قائمته. ولأجل هذا عبَّرَ عنها الحديث الشريف بأنَّهما مجهولتان؛ إذ لا يعرف قيمتهما ويلتفت إلى أهميتهما سوى مَنْ فقدهما، ولأجل هذا أيضاً يحقُّ لنا أن نصف هاتين النعمتين بأنَّهما خفيتان غير واضحتين، كما

الفصل الأول: دواعي الشكر ..... ٥٣

قال تعالى: ﴿الْمَرْتَرُونَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرًا وَبَاطِنًا﴾<sup>(١)</sup>.

ومن أهم المظاهر الخفية لنعمة العافية السلامة من العيوب، بأن يكون الشخص كامل الخلقة وغير مبتلى بشيء من العيوب التي قد تصيب الإنسان أو يولد وهو مبتلى بها، من قبيل: الجنون، والعمى، والخرس، والشلل، ونحو ذلك مما يُصاب به كثير من الناس. فبالأكيد إن السلامة من العيوب هي من صفات الكمال للشيء ومن مقومات جماله؛ ولذلك قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾<sup>(٢)</sup>، أي: جعلناها بخلقة كاملة خالية من العيوب كالتشققات، فالله سبحانه في مقام إلفات نظر الناس إلى عظيم قدرته وجميل صنعه، فينبههم إلى صفات الكمال في السماء، ويذكر أنّ فيها صفات كمالية وجودية كتزيينها بالكواكب، وعدمية كخلوها من العيوب والنواقص كالتشققات مثلاً.

وليس هناك ما يوجب على الله أن يخلصنا بالسلامة ويعفيننا مما ابتلي به غيرنا من منقصة أو مرض أو إعاقة، أفلا يستوجب ذلك أن نشكره على هذا الامتياز بتمام هذه النعمة علينا، وعدم ابتلائنا بما ابتلي به غيرنا؟!!

(١) لقمان: آية ٢٠.

(٢) ق: آية ٦.

وقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «تقول ثلاث مراتٍ إذا نظرتَ إلى المبتلى من غير أن تُسمعه: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به ولو شاء فعل»<sup>(١)</sup>، والمبتلى هو المريض بمرض دائم كالمشلول أو الأعرج مثلاً. والتأكيد على عدم إسماعه واضح؛ فإن ذلك مما يؤذيه. ولعلَّ التأكيد على أن يكون ترديد الدعاء ثلاث مراتٍ لأجل أن لا يكون مجرد ألفاظ يرددها المرء، فمع التكرار يكون هناك التفات للمضمون أكثر عادة، والله أعلم.

#### ٤- نعمة دوام النعم وعدم سلبها

إن التدبر في حقيقة النعم التي حصلنا عليها يرشدنا إلى نعمة أخرى من النعم الخفية، وهي نعمة ديمومة النعم وعدم سلبها، فإنَّ بقاء النعم ليس استحقاقاً لنا بنحو يكون من اللازم على الله سبحانه أن يحققه لنا. فقارون مثلاً كان من أقرباء نبي الله موسى عليه السلام وقيل: إنه كان عالماً بالتوراة<sup>(٢)</sup>، ولكن الله سبحانه ابتلاه بثروة طائلة وصلت إلى حدٍّ يصعب على الرجال الأشداء حمل مفاتيح خزائنه<sup>(٣)</sup>، فأصابه البطر وفرح بما عنده وبغى على قومه، وحينها نصحوه بأن يشكر الله ولا يصيبه الفرح والغرور بما أوتي، وأن لا يفسد في الأرض قائلين له: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾<sup>(٦٦)</sup> وَأَبْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٩٧.

(٢) أنظر: الطبرسي، الفضل بن حسن، مجمع البيان، ج ٧، ص ٤٥٩.

(٣) أنظر: المصدر السابق: ص ٤٥٧.

الدَّارِ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ  
الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿١﴾، تمادى في غروره، وأنكر فضل الله  
عليه، وزعم أن ما عنده إنما حصل عليه بسبب فطنته ودرايته: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ  
عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ ﴿٢﴾، فكانت النتيجة زوال تلك النعمة وصيرورتها عليه نقمة،  
يقول الله جلَّ وعلا: ﴿فَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ  
دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ ﴿٣﴾.

ولهذا ورد في كلمات أهل البيت عليهم السلام الحثُّ على أن نُحسِن مجاورة النعم،  
وذلك بشكر المنعم بها، وأداء حقوقها، وإلا لزالَتْ وذهبت عنها<sup>(٤)</sup>؛ فبقاؤها  
مشروط بحُسن مجاورتها الذي يتحقق بشكر مَنْ أنعم بها، وأداء حقوقها من  
المحافظة عليها وعدم التفريط بها، وعدم استعمالها في الحرام مثلاً، وإعانة  
المحتاجين ممن لهم حقُّ علينا، ونحو ذلك.

#### ٥- نعمة استغناء الشخص عن شرار الناس وحاجة الناس إليه

ورد أن أحدهم قال في محضر الإمام جعفر الصادق عليه السلام: اللهم أغنني  
عن خلقك، فاعترض عليه الإمام عليه السلام وذكره بأنَّ حاجة الناس للناس أمر

(١) القصص: آية ٧٦-٧٧.

(٢) القصص: آية ٧٨.

(٣) القصص: آية ٨١.

(٤) أنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٤، ص ٣٨.

ضروري لا يمكن الاستغناء عنه، ثمَّ علَّمه ما ينبغي عليه أن يقول بدل ذلك، فقال له: «قُل: اللهم، أغنني عن شرارِ خَلْقِكَ»<sup>(١)</sup>. فأن يستغني الشخص عَمَّن سواه استغناءً تاماً هو شيءٌ جيدٌ له، ولكنَّه ليس ممكناً لأحدٍ بالنظرة الواقعية، وبالتالي فليس عاقلاً مَنْ يجلم بهذا الشيء. نعم الاستغناء الجزئي وعدم الاحتياج إلى بعض الناس هو ممكن وواقعي، فنحن بحاجةٍ إلى أصناف من الناس ويمكننا الاستغناء عن أصناف أخرى، ومن تمام النعمة أن تكون دائرة احتياجاتك ضمن نطاق خيار الناس وصلحائهم، بينما تكون مستغنياً عن لؤماء الناس وشرارهم. ونحن عادةً نتأذى إذا كان لنا حاجة لشخص لئيم أو لجهة ظالمة، وتدمر من ذلك ونشكّي، ولكننا نغفل حينها تكون احتياجاتنا عند الصالحين، وننسى أو نتناسى أن نشكر الله على أن جعل احتياجاتنا عند أهل الصلاح والخير ولم يجعلها عند أهل اللؤم والشر.

وفي المقابل من تمام النعمة أن يجعلك الله من الأختيار الذين يقضون حوائج الناس، وأن تكون يدك هي العُليا من هذه الناحية، ولهذا ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «إِنَّ حَوَائِجَ النَّاسِ إِلَيْكُمْ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، فَاغْتَمَوْهَا»<sup>(٢)</sup>.

(١) ابن شعبة الحراني، الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول: ص ٢٧٨.

(٢) التميمي الأمدي، عبد الواحد بن محمد، غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٤٨.

## ٦- نعمة النسيان

وللنسيان جانب إيجابي كثيراً ما يكون خفياً يغفل عنه الناس عادة؛ فالإنسان في حياته اليومية يتعرّض لنكبات وصدمات ومواقف مؤلمة وحزينة، وتمرُّ به أزمات في علاقاته مع بعض مَنْ يعاشرهم من أسرته أو أقربائه أو أصدقائه أو زملائه في العمل وغيرهم، وقد يصل الأمر به في بعض تلك المواقف والحالات إلى الانهيار التام، وعدم تحمل ما يحصل معه، حتى يُحَيَّل له أو لمن يراه على تلك الحال أنه لن يتمكن من مواصلة حياته بشكل طبيعي؛ نظراً لما يجده في نفسه من انفعال عالٍ لا يتمكن من مقاومته، كما يحصل للبعض عند فقدان عزيز. وهذا التخيل والتوقع مصيب وصادق، فلو استمرت تلك الانفعالات العنيفة في الشخص لما استطاع أن يعيش حياته بالشكل المعتاد له أو قريباً منه، ولكنَّ الله - والذي خلق الإنسان في أحسن تقويم - غرز فيه سجية النسيان ليتمكن من مواصلة حياته، والخروج من حالات الانفعال الشديد، ولو بشكل نسبي، بأن يبقى يتذكر أصل الموقف أو الحادث الذي سبَّب له ذلك الانفعال، ولكنه ينسى ويغفل عن بعض التفاصيل التي كان لها التأثير المباشر في شدة انفعاله وتأثره بالموقف، فالذي يفقد ابنه مثلاً يكون في أوقاته الأولى مستحضرًا لكلِّ خصال ابنه وتتجسد أمام عينيه صورته بكل تفاصيلها المادية والمعنوية مما يجعله لا يتحمل مواجهة الواقع، وقد يفقد صوابه في تلك الفترة، ولا يكون هناك مجال له في أن يتفكر

بتعقل فيضع الأمور في مواضعها الصحيحة، ولكن بمرور الوقت تبدأ تلك الصورة الدقيقة بالتلاشي، فيقل مع مرور الوقت انفعاله الشديد ويبدأ شيئاً فشيئاً باستعادة اتزانه، ويجد مجالاً للتفكير بشكل صحيح وعقلاني، فتعود له واقعيته ويرجع إلى حالته الاعتيادية، أو لمستوى قريب منها.

وهذا في الحقيقة يمثل نعمةً عظيمةً يمنُّ الله بها على الإنسان تستحق أن نعطيها حقها من الشكر، فتخيّل أنّنا نعيش حياتنا مع ذكرياتنا المؤلمة بتفاصيلها الدقيقة، وأن تبقى انفعالاتنا عند المصائب بنفس شدتها في جميع أوقاتنا، وأن تكون أسباب خلافاتنا مع الآخرين وقوة تأثيرها بنا حاضرة عندنا دائماً، والمواقف التي آلتنا بشدة تؤثر فينا فعلاً وبشكل مستمر، والمخاوف التي أرهقتنا في أوقات قد خلت مستمرة في إرهابنا، وهكذا ما شاء الله من الأمور التي جعلنا الله ننساها تفصيلاً أو إجمالاً، والتي عكّرت صفو حياتنا في بعض مراحل حياتنا، ولولا النسيان لصارت حياتنا جحيماً لا يُطاق.

### المبحث الثاني: موجبات شكر الناس

تخيّل أنّك تصنع معروفاً لأحدٍ من الناس، فيصرف وجهه عنك ويرفعه إلى السماء، فيشكر الله وينصرف، أو أنّ أبناءك يقولون لك: بأنّه لا فضل لأحد - سوى الله - عليهم، فماذا سيكون انطباعتك آنذاك عنهم؟ وما هي ردة فعلك وقتها؟

من الواضح أنك ستتأذى من ذلك وأمثاله؛ فصحيح أن النعم والأفضال كلها ترجع بالتالي إلى الله سبحانه، ولكن من جهة أخرى، فإن الله سبحانه جعل الأمور تسير بأسبابها وجعل خطأ وافراً للإنسان في التصرف بتلك الأسباب؛ حيث جعله مختاراً وحرراً في تصرفاته، فالذي يُحسن إليك كان بإمكانه أن يمنع معروفه عنك، بل ويُبدله بالإساءة، فما دام قد أقدم على الإحسان، وسلك طريق المعروف معك، فهو يستحق الشكر، وأن تُعرب له عن امتنانك إليه.

يذكر لنا الإمام السجاد عليه السلام أن الله سبحانه وتعالى يسأل أحد عباده يوم القيامة: أشكرت فلاناً؟ فيقول له العبد: بل شكرتُك يا رب. فيقول له الله: لم تشكرني إذ لم تشكره. ثم يقول الإمام عليه السلام تعقيباً على ذلك: أشكرُكم الله أشكرُكم للناس<sup>(١)</sup>.

والقائمة لأفضال الناس علينا طويلة، وقد لا تكون لها نهاية أيضاً، ولكن سنقتصر هنا على ذكر طوائف معينة من الناس؛ لما لها من أفضال ملحوظة علينا، ونسلط الضوء على ما يسعنا من تلك الأفضال:

### ١. فضل الوالدين

لا شك في أنه لا فضل لأحدٍ - بعد فضل الله - يُداني فضل الوالدين

(١) أنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٩٩.

اللذين كانا سبباً في وجودك، فلولاهما لما كان لك وجود ولا كيان، وقد ضحياً في سبيل إسعادك بكل غالٍ ونفيس؛ ولهذا قرن الله أمره بشكره سبحانه بالأمر بشكرهما، فقال: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾<sup>(١)</sup>. وقد خصَّ الأمَّ بذكر ما تُقدِّمه مما يعدُّ أعظم خدمة يمكن أن يقدمها مخلوق لآخر، حيث تحمل الجنين بين أحشائها عدَّة أشهر، يتغذى من غذائها، وينمو في بطنها، فيثقل وزنه ويزيد حملة، وهي لا تزداد إلا سعادةً، وتعاني الأمرين في سبيل الحفاظ على حياته، حتى تحين ساعة الولادة التي تُعدُّ من أصعب ما يمر على المرأة من لحظات في حياتها على الإطلاق، وترى الموت ماثلاً أمامها، ولكن لا تستسلم له، ليس من أجلها هي بقدر ما يكون ذلك من أجل حياة جنينها التي لم تره بعدُ. ولا يقتصر دورها على ذلك، بل ما أن تخرج من مصاعب عملية الولادة وتنجو من مخاطرها حتى تتلقَّف طفلها، فيكون - وهو من كان سبباً في معاناتها قبل لحظات - بلسماً لجراحها، وسبباً في سعادتها، فتسهر على راحته، وتُغذِّيه من ثديها طعاماً من طعامها، وتعطيه قوةً من قوتها، ولا تنتهي مهمتها عند انقضاء فترة الطفولة، فتبقى ترعى الأولاد وهم كبار، وتراهم مستأنسة بأداء دور الخادمة في البيت، وتشعر بالسعادة حينما تبذل قواها وترى زهرة جمالها تذبل في سبيل إسعاد أولادها.

ولا يقصر كثيراً دور الأب وما يقدمه للأولاد عما تقدمه الأم، فهو الذي يصرف أعلى ما يملكه الإنسان - وهو عمره - من أجل توفير سبل معيشتهم بكرامة، ويفعل المستحيل من أجل حمايتهم والحفاظ عليهم من مزالق الحياة، ويكون هو المرجع لهم عندما تواجههم أيُّ مشكلة أو صعوبة، فإذا كانت الأم منبع الحنان في البيت، فالأب يمثل سرَّ أمانه، والركن الركين لتحقيق الطمأنينة والشعور بالأمان والاستقرار، وإذا استحققت الأم لقب القلب الحنون، فيمكننا أن نقول: إنَّ الأب يستحق أن يُلقَّب بالجندي المجهول؛ لما يقدمه من تضحيات في سبيل توفير احتياجات العائلة، وما يبذله من أجل إسعادهم، وبشكل هادئ لا يشعر به الأبناء إلا بعد أن يكبروا ويتصدَّوا للحياة، ويتحملوا مسؤولية إعالة أسرهم.

فإذن؛ وجود الأبوين في حدِّ نفسه نعمة لا يدركها حق الإدراك ويعطيها حقَّها غير مَنْ فقدها، ويتفرع على أصل وجودهما نِعَمٌ عظيمة قد نشعر ببعضها وقد لا نشعر ببعضها الآخر.

العيش ماضٍ فأكرمِ والديك به      والأُمُّ أولى بإكرامٍ وإحسانِ  
وحسبُها الحملُ والإرضاع تُدَمِّنه      أمران بالفضلِ نالا كلَّ إنسانٍ<sup>(١)</sup>.

(١) المعري، أبو العلاء، اللزوميات: ج ٢، ص ٣٨٠.

## ٢. فضل الزوج أو الزوجة

قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾<sup>(١)</sup>، فالزواج من النعم العظيمة التي يحصل عليها الإنسان في حياته، فالحاجة إلى الجنس الآخر عاطفياً وجنسياً هي في صميم كيان الإنسان، ذكراً كان أم أنثى، ورغبة الفرد في تكوين الأسرة رغبة جامحة لا يمكنه أن يتجاهلها، وبالزواج لا يحقق الشخص الاكتفاء من هذه النواحي فحسب، بل هو سيدرك أنذاك أن كيانه لم يكن مكتملاً قبل الزواج، وكأنَّ الرجل والمرأة قطبان لكيانٍ واحد، فبينما ترى الرجل قوياً وخشناً ويميل بطبيعته إلى المرأة الضعيفة الناعمة، ففي نفس الوقت تجد المرأة بطبيعتها ضعيفة وناعمة وتميل إلى الرجل القوي الخشن! ويكون الرجل عادةً شديداً وواقعياً في تعاملاته مع الناس، ولكنَّه يميل إلى المرأة اللطيفة التي تسبح في خيالها ولا يتعدى طموحها غير إرضاء زوجها، ولو على حساب إغماضها عينيها عن الواقع، بينما المرأة تكون بطبيعتها لطيفة ذات خيال واسع، وقلماً تجدها تدقق في تفاصيل الواقع وجزئيات الأحداث بجدية توازي ما يفعله الرجل.

فمن عجائب الخلق ما تجده من تفاوت بين الذكر والأنثى من حيث

(١) الروم: آية ٢١.

الصفات، وما تراه في نفس الوقت من انجذاب أحدهما للآخر، وكأنتها قطبا المغناطيس الموجب والسالب في ذلك!

وعلى أية حال، فلو تأمل الزوج أو الزوجة في ما يقدمه له صاحبه، وما يحصل عليه هو منه لوجده هبة الله الكبرى له، فكلُّ واحد منهما كأنه قد سحَّر للخدمة الآخر، وكأنَّ خِلْقَةَ كُلِّ واحدٍ من الزوجين هي كانت لأجل الآخر منها. وإذا كان نظير هذه الحقيقة تجده متحققاً في الأبوين مع أولادهما مثلاً، فهذا شيء ليس غريباً بعدما كان الأبناء فرعاً منهما، وكانوا يمثلون امتداداً طبيعياً لهما، ولكن الغرابة هي في تلك الرحمة والمودة التي جعلت بين الزوجين، والعجب كل العجب من ذلك الذوبان لكل واحد منهما في الآخر، وهما في الغالب لا يجمعهما سوى العقد الشرعي الاعتباري الذي عقده بينهما.

فهذا الذوبان من الزوجة في الزوج لا يصح أن يمر من دون أن يُشكر من قبل الزوج، كما إنَّ ذاك الانهماك من الزوج في الزوجة من غير المقبول أن يبقى بلا تعبير عن الشكر له من قبل الزوجة.

إنَّ تكرار شكر الزوجة لزوجها على ما يقدمه لها وللأسرة بأجمعها من خدمات، وعلى ما يجود به من تضحيات يعطيه شعوراً عظيماً، ويمتزج بسببه في داخله خليطاً من مشاعر الاعتزاز بالنفس والزوجة والأسرة، مع رضا وعدم الندامة على ما جاد به من تضحيات مادية ومعنوية في سبيل إسعاد أسرته، مع حصول فورة اندفاع نحو تحقيق المزيد لهم.

وهكذا فإنَّ تكرار الشكر من الزوج لزوجته يعطيها دعماً معنوياً عظيماً يجعلها راضيةً بواقعها مهما كان، ويدفعها نحو بذل المزيد من جهود وخدمات للزوج والأسرة.

ولقد ورد في الحديث النبوي الشريف أنَّ قول المرأة لزوجها: ما رأيتُ من وجهك قطُّ خيراً يجبط عملها ويُبطله<sup>(١)</sup>.

ولعلَّ الذي جعل الحديث يخص حق الزوج بالتأكيد عليه، وأنَّ جحوده من قبل الزوجة يوجب بطلان عملها هو لأجل أنَّ ما يقدمه الزوج لزوجته هو مع جلالته وعظيم قدره عادةً ما يكون غير محسوس وليس ظاهراً، وبالتالي فلا يجد في مقابله شيئاً ملموساً يشعره بأنَّه حقَّق شيئاً أو أنَّ مَنْ قدَّم لهم الخدمات التفتوا إليه، ومع ذلك هو باقٍ على وضعه ومستمر بتقديم خدماته ولو كانت من دون مقابل، بل هو يشعر بالسعادة آنذاك، فهو الذي يوفِّر لعائلته سبل العيش الكريم، ويحقق لهم الشعور بالأمان والسكينة، ويعطيهم من كرامته كرامةً، ومن شرفه شرفاً، ويكون لهم ملجأً عند النوائب وسنداً عند الشدائد، بخلاف الزوجة فإنَّ جهودها - غالباً - ما تكون محسوسة وواضحة، ولهذا فهي عادةً ما تحصل على مقدار مما تستحق من تقدير لجهودها وشكر وعرفان لخدماتها.

(١) أنظر: الصدوق، محمد بن علي بن الحسين، مَنْ لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٤٤٠.

## ٢. فضل الأبناء

ولعلَّ أكثر مَنْ سيقراً هذا العنوان ستُثار عنده علامات التعجب، وهل للأبناء من فضلٍ على أبويهم، بحيث يستحقون عليه أن يشكرهم عليه الأبوان؟!

في الحقيقة أنه يمكننا عدُّ هذا المورد من المصاديق البارزة لقولنا: لا يشعر بالنعمة حقاً إلا مَنْ افتقدها. فأنظر إلى أولئك الآباء المبتلين بأولاد غير مهذَّبين ولا يطيعون لهم أمراً ولا يمثلون لهم نهياً، ولا يصلهم منهم غير المشاكل أو سوء الأدب معهم.

أفلا يستحق ابني أو ابنتي الشكر على ما يُعطيانه من شعور بالراحة والاستقرار النفسي، وعلى ما أحصل عليه منهم من إشباع عاطفي وإرواء لغريزة الأبوة أو الأمومة؟

ثمَّ ألا يستوجب طاعتهم لنا وحسن سلوكهم عموماً ومعنا خصوصاً، وعدم جلبهم للمتاعب لنا أن نشكرهم ونُشعرهم بامتناننا لهم ورضانا عنهم؟

إنَّ شكر الأولاد يشجعهم على الاستمرار بالاستقامة والتطور نحو الأفضل، ويولِّد عندهم شعوراً بالحرص على اكتساب رضا الوالدين وعدم تخييب ظنهم بهم.

هذا مع الغصِّ عمّاً قد يقدّمونه للوالدين من خدمات بدنية، كإعانتهم في تدبير شؤون البيت وإدارتها، ومساعدة الأب في بعض الأعمال المنزلية أو

غيرها، وهكذا مساعدة البنت لأُمِّها في أعمال البيت وتربية الصغار من إخوتها ونحو ذلك، وهكذا ما ربَّما يقدِّمونه في مجال المساهمات المادية والمشاركة في توفير ما يحتاجه الأبوانِ خصوصاً أو الأسرة عموماً من مال أو أثاث و سلع ونحوه.

والأهمُّ من هذا كلُّه هو ما يمثِّله البنون والبنات من امتداد للأبوين، على مستوى الانتفاع بسلوكهم وأعمالهم بعد الممات وفي الدار الآخرة، فقد ورد في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث: علم يُنتفع به، وصدقة تُجرى له، وولدٍ صالح يدعو له»<sup>(١)</sup>، فالانتفاع منهم بعد الممات إذا ما أحرزه الأبوان في حياتهما وفقاً لسيرتهم وما يشير إليه واقعهم الذي هو بمرأى من الأبوين أيضاً؛ حيثنذ يكون ذلك من موجبات شكر الأبناء على الأبوين.

والولد - لغةً - لا يختص بالذكر، بل هو شامل للأبناء والبنات<sup>(٢)</sup>. بل يمكننا أن نقول: إنَّ نفع البنات من هذه الجهة - أعني: وصول نفعهنَّ إلى الأبوين في الآخرة وبعد الممات - أشمل وأكثر من الأبناء الذكور؛ فقد ورد في ثواب إعالتهم وتربيتهم ما لم يرد في إعالة الأبناء وتربيتهم<sup>(٣)</sup>، كما أنه ورد عن

(١) الفتال النيسابوري، محمد بن الفتال، روضة الواعظين: ص ١١.

(٢) أنظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج ٨، ص ٧١. وأيضاً: الراغب الأصفهاني، الحسين

بن محمد بن المفضل، معجم ألفاظ القرآن: ص ٨٨٣.

(٣) أنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٦، ص ٤، باب (فضل البنات).

الإمام جعفر بن محمد الصادق قوله: «البنات حسنات، والبنون نعمة، فالحسنات يُثاب عليها، والنعمة يُسأل عنها»<sup>(١)</sup>، فَمَنْ لديه بنات يُثاب على نفس وجودهنَّ عنده، وعلى حفظهنَّ وإعالتهنَّ وتربيتهنَّ، بينما الأولاد الذكور نعمة، والنعمة ابتلاء يمتحننا الله بها، ولا نُثاب عليها إلا بشرط مهم جداً وهو أن نشكر هذه النعمة، وربَّما كانت علينا وبالأل.

نعم، قد يبدو - بحسب ظاهر الأمور لدينا وبحسب النظرة السطحية لبعض الناس - أنَّ الذكر أنفع لأهله من البنت، ولكنَّ الواقع ليس كذلك دائماً، فالغلام الذي قتله العبد الصالح - واعترض عليه موسى عليه السلام بقوله: ﴿أَقْنَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾<sup>(٢)</sup>، ثُمَّ بَيْنَ الْخَضِرَ عليه السلام بعد ذلك السبب في قتله له، وهو أنَّ أبويه كانا من المؤمنين، وأن هذا الغلام ليس إنساناً صالحاً، فلو بقي لأتعبهما وآذاهما، فقال له: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾<sup>(٣)</sup> فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكْوَةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾<sup>(٣)</sup> - قد أبدله الله ببنت، كما يروي بعض أصحاب الإمام الصادق عليه السلام قائلاً: «وُلِدَ لِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِنَا جَارِيَةٌ فَدَخَلَ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، فَرَأَاهُ مُتَسَخِّطًا، فَقَالَ لَهُ: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَوْحَى

(١) الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه: ج ٣، ص ٤٨١.

(٢) الكهف: آية ٧٤.

(٣) الكهف: آية ٨٠ - ٨١.

إليك أن أختار لك أو تختار لنفسك. ما كنت تقول؟ قال: كنت أقول: يا ربّ تختار لي. قال: فإنّ الله قد اختار لك. ثم قال: إنّ الغلام الذي قتله العالم الذي كان مع موسى عليه السلام وهو قول الله عز وجل ﴿فَارْتَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رَحْمًا﴾ أبدلها الله به جاريةً ولدت سبعين نبياً<sup>(١)</sup>.

### ٤- فضل المعلم والمربيّ

فضل المعلمين والمربيين على الفرد والمجتمع عظيم، وليس خافياً على كل أحد، فأفضل ما يملكه الإنسان هو ثقافته، وما حصل عليه من مستوى علمي، وما ناله من أخلاق فاضلة، وهكذا المجتمع، فبالمستوى الثقافي والتطور العلمي والواقع الأخلاقي تقاس المجتمعات، وفي ضوء ذلك تُصنّف إلى مستويات متفاوتة. ولا شك في أن المساهم الأول في هذا وذاك هم المعلمون والمربيون؛ فلا بد من تقديم الشكر لهم، والتعبير عن الامتنان لهم من قبل الأفراد الذين تعلموا منهم وتربوا على أيديهم، ومن قبل المجتمعات التي ساهموا في رقيها وبناء كياناتها علمياً وتربوياً.

ولقد صدق من قال:

فُمِّ لِلْمُعَلِّمِ وَفِيهِ التَّبْجِيلَا      كَادَ الْمُعَلِّمُ أَنْ يَكُونَ رَسُولًا<sup>(٢)</sup>.

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٦، ص٦.

(٢) أحمد شوقي، ديوان الشوقيات: ص٢٤٥.

وبالاطلاع على ما ورد في حديث الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام في حقَّ المعلم يتضح جلاله هذا الحق، وكيف أنَّ الشريعة السماوية اهتمت به أيضاً، وحثَّت على لزوم مراعاته بأعلى مراتب المراعاة، إذ جاء في هذا الحديث ما نصُّه: «وَحَقُّ سَائِسِكَ بِالْعِلْمِ التَّعْظِيمِ لَهُ، وَالتَّوْقِيرُ لِمَجْلِسِهِ، وَحُسْنُ الاسْتِمَاعِ إِلَيْهِ، وَالْإِقْبَالَ عَلَيْهِ، وَأَنْ لَا تَرْفَعُ عَلَيْهِ صَوْتَكَ، وَلَا تُجِيبَ أَحَدًا يَسْأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يُجِيبُ، وَلَا تُحَدِّثُ فِي مَجْلِسِهِ أَحَدًا، وَلَا تَغْتَابَ عِنْدَهُ أَحَدًا، وَأَنْ تَدْفَعَ عَنْهُ إِذَا ذُكِرَ عِنْدَكَ بَسْوَةٌ، وَأَنْ تَسْتَرَّ عُيُوبَهُ، وَتُظْهِرَ مَنَاقِبَهُ، وَلَا تَجَالِسَ لَهُ عَدُوًّا، وَلَا تُعَادِي لَهُ وَلِيًّا»<sup>(١)</sup>.

ولهذا نجد أن نبي الله موسى عليه السلام حينما التقى بالعالم عليه السلام قال له - كما نقل لنا القرآن الكريم -: ﴿هَلْ أَتَيْتَكَ عَلَيَّ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُسُدًا﴾<sup>(٢)</sup>، فالتمس منه أن يأذن له في أن يكون تابعاً له ليتعلَّم منه، ولم يستنكف من ذلك، وهو كليم الله! وكان في غاية الأدب في التماسه ذلك. ثمَّ بعد ذلك وعده بأن يكون معه صبوراً ومتحملاً لتبعات تلك المتابعة له بالتزامه الطاعة تجاه أوامره ونواهيه، والأخذ بتعاليمه، فقال له: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾<sup>(٣)</sup>. فهو يعلم أنَّه وإن كان نبيَّ الله وكليمه، إلا أنَّ مراعاة

(١) الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه، مَنْ لَا يَحْضُرُهُ الْفَقِيه: ج ٢، ص ٦٢٠.

(٢) الكهف: آية ٦٦.

(٣) الكهف: آية ٦٩.

٧٠ ..... الشكرُ حصنُ النعم

مقتضيات اتباع المعلّم من الاحترام والالتزام بتعاليمه هو أمر لازم لا يمكن التغاضي عنه .

ولهذا فقد جعل الإسلام للعالم والمعلّم والمرّي منزلة عظيمة تكاد لا تضاهيها منزلة أخرى، حتى ورد في الحديث النبوي الشريف صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى غَيْرِهِ كَفَضْلِ النَّبِيِّ عَلَى أُمَّتِهِ»<sup>(١)</sup>، فتشبيه فضل العالم على غيره بفضل النبي على أمته يفهم منه أَنَّ الصفة التي امتاز بها عن غيره ليست هي مجرد كونه حاصلًا على مرتبة من العلم، وإنّما هي حصوله على ذلك مع بذله لعلمه وتعليمه للناس، فكما أن النبي يهدي أمته ويرشدهم، وبذلك كان أفضلهم، وذا فضل عليهم عظيم، فهكذا المعلّم لغيره هو أفضل أفراد المجتمع، وفضله عليهم كبير .

#### ٥. فضل الأصدقاء

تُعَدُّ علاقة الصداقة من أروع نماذج العلاقات الاجتماعية للبشر، ومن أرقّها وأرقاها؛ بسبب عدم استنادها إلى شيءٍ آخر غير التجاذب العاطفي والتقارب الثقافي والفكري. فنحن نعرف أَنَّ بناء العلاقات الاجتماعية - على اختلافها - يرتبط بمجموعة من العوامل الحسية، كالدم والرحم، أو الغريزية والعاطفية، كما هو الحال في الزوجين، أو الاعتبارية كالانتماء إلى بلد واحد ونحو ذلك، ولكن يمكن عدُّ التجاذب العاطفي والتناغم الفكري والثقافي من

---

(١) المتقي الهندي، علي بن حسام الدين، كنز العمال: ج ١٠، ص ١٥٦.

أقوى تلك العوامل؛ ولذلك تراه حينما يدخل في الحساب فهو يغير المعادلة مهما كانت العلاقة الاجتماعية، ومهما كان الرابط فيها، فالإخوة إذا لم يكن بينهم تقارب عاطفي وثقافي حصل بينهم تباعد وتنافر، وربما وصل الأمر إلى حصول العداوة بينهم، وهكذا الزوجان، وأبناء البلد الواحد والقومية الواحدة، وغير ذلك. نعم لتلك العوامل تأثيرها عادة على تولّد مثل هذا التجاذب وحصول التقارب، ولها تأثيرها على تحديد المواقف إزاء الآخرين إيجاباً أو سلباً، فالتعامل مع الأخ مثلاً بكل تأكيد لا يكون كالتعامل مع الغريب الذي لا تربطك به أية علاقة، ولكن يبقى التأثير الأكبر لعامل الميل العاطفي والتناغم الفكري، وإلا فقد تنقلب العلاقة إلى عداوة كما ذكرنا.

وهنا تكمن خصوصية الصداقة، وبهذا يكون امتيازها، أعني: بالتجاذب العاطفي والتقارب الثقافي الثابت فيها، بل يُعدُّ هذا العامل الراقى هو الشيء الوحيد الذي تركز عليه هذه العلاقة عادةً؛ ولهذا فهي - كعلاقة - أخذت منه نُبلًا ورُقياً حتى باتت من أنبل العلاقات الاجتماعية وأرقاها؛ فالصديق يكون باختيارك أنت، ولا يكون مفروضاً عليك كما هي الحال في أكثر العلاقات الأخرى، والإنسان بفطرته يميل إلى ما يجانسُه ويلتئم معه، ويتعد عن كل ما يتنافر معه، ولهذا قيل:

عن المرء لا تسَلِّ وسلِّ عن قرينه  
فكلُّ قرينٍ بالمقارنِ يُقتدي<sup>(١)</sup>.

(١) العبادي، علي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي: ص ١٠٦.

ومن هنا؛ كان الصديق في كثير من الأحيان أقرب حتى من الأخ، فعادة ما يكون موضع سر صديقه، ومحلاً لبث شكواه، ووجهته الأولى في طلب الآراء والتماس الحلول حين مواجهة المشاكل ومقابلة الصعاب. والحياة مليئة بأمثلة ناصعة لأصدقاء رائعين، ومشحونة بقصص واقعية عن تضحيات ومآثر عظيمة، تتجسّد بها مقولة: «رَبَّ أَخٍ لَمْ تَلِدْهُ أَثْمَكَ»<sup>(١)</sup>، وتكاد لا تجد مَنْ لم يعيش بعضاً من تلك القصص، أو على الأقل كان شاهداً على بعضها.

فوجود الأصدقاء الحقيقيين في حياة كلِّ شخص منّا هو نعمة عظيمة، تحتاج إلى أن تُشكر بما تستحقه من مظاهر الشكر، لما لوجودهم في حياتنا من فوائد كبيرة. وأهمُّ مظهر لشكر هذه النعمة هو الاهتمام بها والحفاظ عليها، وأهمُّ عنصر لتحقيق ذلك يكون بشكرهم، والتعبير عن الامتنان لهم بالقول والعمل باحترامهم، وإسداء المعروف لهم، والوفاء لهم، وحفظ أسرارهم، وإعانتهم في محنتهم، ونحو ذلك.

ولا يقتصر الانتفاع بالصديق على ما نحصل عليه من وجوده معنا في الدنيا فقط، بل إنَّ نفعه يستمر حتى في عالم الآخرة، فقد ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قوله: «أَكْثَرُوا مِنَ الْأَصْدِقَاءِ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّهُمْ يَنْفَعُونَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، أَمَّا فِي الدُّنْيَا فَحَوَائِجُ يَقُومُونَ بِهَا، وَأَمَّا الْآخِرَةُ فَإِنَّ أَهْلَ جَهَنَّمَ قَالُوا:

(١) وهذه المقولة لأمر المؤمنين عليهم السلام. أنظر: التميمي الأمدي، عبد الواحد بن محمد، غرر الحكم

﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَفِيعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾<sup>(١)</sup>. مشيراً بهذا إلى ما نقله لنا القرآن الكريم في سورة الشعراء من كلام للكافرين، حينما تبرز لهم جهنم، حيث جاء في ضمن ذلك قولهم: ﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْأَجْمُرُونَ ﴿١١﴾﴾ فَمَا لَنَا مِنْ شَفِيعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾، وقد ورد في الحديث النبوي أنهم يقولون ذلك بعدما يتفقد أهل الجنة أصدقاءهم ولا يجدونهم معهم، فيسألون عنهم، فيأمر الله بإخراجهم من النار كرامةً لأصدقائهم من أهل الجنة، فيقول مَنْ ليس له صديق يشفع له تلك العبارة الواردة في الآيات الشريفة<sup>(٣)</sup>.

وعلى هذا؛ فالمسؤولية تتضاعف تجاه هذه النعمة، ويتأكد حقُّ شكرها. ومن الواضح جداً أنَّ المقصود بكلامنا هنا هو الصديق الحسن لا السيِّئ، وإلا كان وجوده في حياة الشخص وبالاً ونقمة كما هو واضح. وفي الحقيقة فإنَّ الشكر على نعمة الأصدقاء والإخوان يتوجَّه إلى جهتين، فيلزم شكر الله سبحانه وتعالى على تهيئته لأسباب الحصول على هذه النعمة، فكثير من مقدماتها هي خارجة عن اختيارنا من قبيل المحيط والبيئة التي تجمعنا بأصدقائنا، فإنَّ ذلك مرتبط عادةً بمحل ولادتنا وموطن نشأتنا، وهو من

(١) الصدوق، محمد بن علي بن الحسين، مصادقة الإخوان: ص ٤٦.

(٢) الشعراء: آية ٩٩ - ١٠٢.

(٣) أنظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن، تفسير مجمع البيان: ج ٧، ص ٣٣٨.

اختيارات الله سبحانه وتعالى لنا، ولم يكن لنا رأي فيهِ، ومن قبيل تحقق فرصة اللقاء والتعارف، وهو ما نعبّر عنه بالصدفة؛ فإنّ ذلك يجري بإرادة الله المدبّر لجميع الأمور بتفاصيلها الدقيقة، ومن قبيل التناغم الحاصل بين الأشخاص بحسب الأذواق والأمزجة؛ فإنّ لذلك دوراً كبيراً في حصول التقارب بين الأشخاص وتطور العلاقة ونشوء صداقة بينهم، وقد ورد في روايات أهل البيت عليهم السلام أنّ الأرواح تلتقي فتشام<sup>(١)</sup> كما تشام الخيل، فما تعارف منها اتلف وما تناكر منها اختلف<sup>(٢)</sup>. وهذا كلّهُ بتدبير من الله سبحانه وتعالى يحصل من دون علم منّا به، وهو ليس استحقاقاً لنا عليه سبحانه، بل هو لطفٌ وتفضّلٌ منه علينا، فيستوجب منّا شكراً له تعالى على هذه النعمة العظيمة.

ومن جهةٍ أخرى، فوجود الصديق الجيد في حياة الشخص يستلزم وصول إحسانه إلى الشخص وأن يناله منه ما هو خير عادةً، فيلزم آنذاك شكر الصديق وإظهار الامتنان له، فمن لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق<sup>(٣)</sup>.

(١) من الشمّ، أنظر: الحميري، نشوان بن سعيد، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: ج ٦، ص ٣٣٥٤. ويكون المعنى: أنّ الأرواح حينما تلتقي ففيها حاسة تتحسس بها ما ينسجم معها من الأرواح الأخرى، وأنّ أمرها في ذلك كأمر الخيول حينما تلتقي، فإنّ من عاداتها أن تستعمل حاسة الشمّ، فيشم بعضها بعضاً.

(٢) أنظر: الديلمي، الحسن بن أبي الحسن، أعلام الدين في صفات المؤمنين: ص ٤٤٠.

(٣) هذا المضمون ورد في روايات أهل البيت عليهم السلام بألفاظ مختلفة، أنظر: الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢، ص ٢٤. وأيضاً: الريشهري، محمد، ميزان الحكمة: ج ٢، ص ١٤٩٣.

فالأصدقاء نعمة عظيمة تستحق الشكر؛ بالمحافظة عليها، وإعطائها حقّها بصون حدودها، والالتزام بما تقتضيه من واجبات تجاه الصديق ومراعاته، والوقوف معه في ما يمر به من مصاعب، وإعانتته في أموره الدينية والدنيوية، وجعل المبدأ السائد في نطاق العلاقة مع الصديق هو أن تُحبَّ له ما تُحبه لنفسك، وتكره له ما تكره لنفسك<sup>(١)</sup>.

## ٦. فضل الجار الصالح

لا يختلف منّا اثنان على أهمية الجيران، ومدى تأثيرهم إيجاباً أو سلباً علينا، ولشدة التأثير والتأثير بهم قيل: اسأل عن الجار قبل الدار<sup>(٢)</sup>؛ ولهذا فلو ابتلي الشخص بجارٍ سيئٍ لشغله همُّه عن سائر المهموم، ولتغصت حياته؛ لأن البيت محلُّ سكنى الشخص، وموضع راحته، وموطن استقراره، فهو نعمة عظيمة من نعم الله علينا، ولن تتمّ هذه النعمة إلا بالجيران الصالحين الذين يحملون معه همّه بدل أن يزيدوه همّاً، ويعينونه في أموره، ويحفظونه وأهله عند حضوره وفي غيبته. بل ربّما كان من المناسب شكر الجار الذي لا يصل منه أذىً، فكفّ الأذى أمرٌ مهم أيضاً، ويمكن إدراجه في قائمة إساءة المعروف

---

(١) وهذا المعنى ورد في روايات أهل البيت عليهم السلام. أنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ١٦٩.

(٢) وهذه المقولة المتداولة على الألسن وردت في كلمات أهل البيت عليهم السلام. أنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٨، ص ٢٤.

من قبل الجيران على اعتبار أنّ ممارسة الجيران - كأسرة وأفراد - لحياتهم اليومية بتفاصيلها بشكل اعتيادي كثيراً ما يؤدي إلى مزاحمة الجيران الآخرين، والتسبب في أذيتهم أو مضايقتهم، فعدم تحقق ذلك وعدم مضايقته للآخرين يعني أنّه كان يراعي حق الجيران، ويكفُّ عنهم أيّ أذى أو مضايقة بقصد وحسن خلق منه، وهذا ما يستدعي أن نشكره وأن نقابل ذلك منه بمعروف منّا وحسن خلق، وهذا نوع من أنواع الشكر العملي.

إنّ الذي يشعر بالنعمة حقّاً هو مَنْ يفقدها، فلو كان للشخص جيران طيبون وصالحون، وكانت الأمور تجري على وفق ما ينبغي أو ما يتمنّاه المرء، فعليه أن لا يغفل عن هذه النعمة العظيمة التي يكون تأثيرها في الصميم بالنسبة إلى حياته وحياة أسرته، وأن يشكرها بالمحافظة عليها بإكرام جيرانه واحترامهم، وبناء أفضل العلاقات معهم. ولا يكون ذلك إلا بأداء كل ما هو واجب تجاههم بحسب الشرع والأعراف من حفظهم في أنفسهم وأعراضهم وأموالهم، وقضاء حوائجهم، ومشاركتهم في أفراحهم وأحزانهم، ونحو ذلك. وما يؤسف له ما آلت إليه أحوالنا في هذا الزمان، من انتشار مظاهر عدم مراعاة حقوق الجيران بين الكثيرين من أفراد المجتمع؛ مما ساهم في توجه الآخرين إلى البحث عن العزلة والابتعاد عن الاختلاط بالجيران، ويُضاف إلى ذلك شيوع ظاهرة التساهل في التفريط بهم وعدم الاهتمام لغيابهم أو اعتزالهم وعدم مخالطتهم؛ وهذا يدقُّ ناقوس الخطر، ويؤشّر نحو وجود مخاطر تجاه المجتمع وما يربط بين أفرادهِ وفتاته من روابط وعلاقات، ويشكّل نوعاً من

أنواع كفران النعمة الذي يؤدي إلى زوالها، فيُصبح مجتمعنا الشرقي - المعروف بتوجهاته الاجتماعية وانتشار مظاهر المشاركة والمخالطة والتعاون على مستوى الجيران - كالمجتمعات الغربية التي تفتقد مثل هذه الظواهر، وتعدُّ - بالرغم من تقدُّمها على مستوى التمدُّن والازدهار الحضاري - فقيرةً على المستوى الاجتماعي، وتنتشر فيها مظاهر التفكك من هذه الناحية.

### ٧. فضل لفئات أخرى من المجتمع

وهناك في المجتمع الكثير من أصناف الناس ممن لهم علينا حقُّ الشكر، ويلزمنا التعبير لهم عن الامتنان والتقدير قولاً وعملاً، بدافع من الضمير وما توافقت عليه فطرتنا السليمة؛ ولئلا يكون هناك تضييع للحقوق، أو يتسبب إهمالنا لهم بردة فعل عكسية يكون التقاعس عن الواجبات والتقاعد عن التكاليف والتقصير في الوظائف تعبيراً عنها ومصادقاً لها.

ولو حرصنا على ذكر قائمة بجميع من له فضل علينا - وندين له بالمعروف الذي نالنا - لطالت تلك القائمة، وخرجنا عن الخطة التي رسمناها لهذا الكتاب، ولكن لا بأس بذكر أمثلة لأبرز تلك الطوائف والأصناف ليكون عليها القياس، فنجد نظائرها إذا ما تفكرنا وتأملنا قليلاً.

فمن أولئك المقاتلون الذين يدافعون عن أوطاننا، فيضحون بالغالي والنفيس في سبيل توفير الأمن لنا، وحفظ أعراضنا ودفع السوء عن مقدساتنا.

ومنهم رجال الأمن الذين يسهرون على راحتنا وحفظ أنفسنا وأموالنا ويحرصون على حفظ الأمن الداخلي لبلادنا وحماية عوائلنا وأملاكنا من تعدي المجرمين والمنحرفين.

ومنهم رجال تنظيم المرور الذين يتحملون قساوة الأجواء، وما يصاحب عملهم من صعوبات في التعامل مع الأذواق المختلفة للسائقين، والمستويات المتفاوتة من أخلاقياتهم، ويُتعبون أنفسهم في خدمة المشاة، ويحرصون على استمرار انسيابية السير في الشوارع؛ ليصل كل واحد منّا إلى بيته أو محل عمله أو غير ذلك بسلامة وسلاسة.

ومنهم عمال الخدمات، كعمال النظافة، وعمال الكهرباء والماء والمجاري، ونحو ذلك الذين يقدمون لنا خدمات جليلة، ويبدلون في سبيل تحقيقها لنا جهوداً عظيمة لا يمكننا إعطاؤها حقها من التقدير والشمين.

ومنهم الكوادر الطبية الذين يمثلون لنا ضماناً صحياً ورصيماً للمجتمع من هذه الناحية؛ فإنّ قضاءك دقائق قليلة في ردهة الطوارئ أو عند صالة العمليات أو عند بوابة صالة الولادات مثلاً يُعطيك انطباعاً كافياً عمّا يقدمه هؤلاء من خدمة عظيمة لمجتمعهم، وعمّا يكابدونه من متاعب في سبيل تقديم تلك الخدمات.

ومنهم أصحاب الجمعيات الخيرية، والأنشطة الاجتماعية والثقافية التي تدرج في مجال المعروف، والتي تطال جهوداتهم الطبقة الضعيفة من المجتمع،

من الفقراء، والأرامل والأيتام، ونحو ذلك، فهم بعملهم هذا لا يقدمون الخدمة لهذه الطبقة من المجتمع فقط، بل فضلهم يعمُّ جميع المجتمع لتصديهم لأداء هذا الواجب، ولولا تصديهم لأداء هذا التكليف الشرعي والإنساني لكان في عهدة جميع أفراد المجتمع من الناحية الشرعية والإنسانية والمجتمعية، فبتصدي هؤلاء يسقط التكليف من هذه الناحية عن الآخرين.

ومنهم علماء الدين والمبلغون الذين يمثلون صمام الأمان في المجتمعات، ولا سيما تلك التي تحتضن في فئاتها طوائف مختلفة وتيارات متعددة؛ لما يتمتعون به من احترام وتقديس من قبل الناس. هذا مضافاً لما يساهمون فيه من توعية للناس، وما يقدمونه للمجتمعات من إرشاد وتوجيه في خطبهم وكتاباتهم. وإذا كانت الكوادر الطبية تمثل ضمان المجتمع من الناحية الطبية والصحة البدنية، فعلماء الدين والمبلغون هم بحق ضمانه من الناحية المعنوية، ورصيده الكبير من الناحية التوجيهية والإرشادية. فهم بهذه الخدمات العظيمة يستحقون على أفراد المجتمع أن يقدموا لهم أعلى مراتب التقدير وأفضل درجات الشكر.



## الفصل الثاني

### الشكر ثقافة<sup>١٢</sup>



## الفصل الثاني : الشكر ثقافة

ماذا سيكون شعورك لو أنّ أحدهم سألك عن الوقت كم هو الآن، فأجبتّه فاسترسل في طريقه ولم يقل لك: شكراً. أو أنّك رأيت أحدهم لم يستطع فتح الباب فبادرت مهرولاً لمساعدته، وحينما تفتح له الباب يلج من خلاله من دون أن يشكرك أو يتسم في وجهك أو يومئ لك برأسه؟ من المؤكّد أنّك ستندم على ما قدّمت لهذا أو ذاك، وعلى الأقل سيصيبك الإحباط، وينال منك الأسف على ما قوبلت به من تصرف.

ينقل بعض الكتّاب أنّ هناك امرأة مسنة اعتادت أن تعدّ الطعام لأسرتها باستمرار، ولكنها لم تجد من أفراد أسرتها أيّ صدى منهم، فلا تسمع منهم شكراً، ولا تلمس فيهم أيّاً من أمارات الامتنان والاعتراف بمعروفها. وفي ذات يوم بينما كان الجميع كالمعتاد مجتمعين بانتظار أن تأتيهم تلك المرأة بالطعام، وإذا بها تضع أمامهم طبقاً كبيراً من التبن، فضجّوا وعجّوا معترضين على ما صنعتّه، فقالت لهم: إنّ ما أردته هو التأكّد ممّا إذا كنتم قادرين على التمييز بين الطعام الجيد وغيره، لقد أفنيتُ أربعين عاماً أعدّ لكم طعاماً لذيذاً وجيذاً، فلم أسمع منكم إطراءً، أو أتلّمس منكم شكراً وثناءً، فظننت أنّكم ما عدتم تميزون الطعام اللذيذاً؟! (١).

---

(١) منقول من مقال منشور في صحيفة الرياض (النسخة الإلكترونية) بتاريخ الثلاثاء ١٢ يونيو ٢٠١٨م.

إنَّ مقابلة مَنْ يحسن إلينا بالإهمال والتجاهل لا يصيب صاحب الإحسان بالحزن أو يشعره بالأسى فحسب، بل هو يطفئ فيه جذوة المبادرة، ويُخفّ عنده حرارة النشاط، فيفقد دواعي الاستمرار بتقديم المعروف وفعل الخير شيئاً فشيئاً.

وإذا كان الإهمال ومقابلة الإحسان بالجفاء يسبب حدوث هذا الانكسار على المستوى الفردي، فما بالك إذا ما صار سِمةً شائعةً في المجتمع؟!  
فما أجمل أن يُقابلك مَنْ تُسدي له خدمةً بالتعبير عن شكره وامتنانه لما قدّمَ له، فهو - مضافاً لما يقدّمه لك من دعم ويجعلك تشعر بالراحة والسعادة لما فعلته من معروف ويُعطيك مؤشراً على أنّك وضعت معروفك في موضعه الصحيح فهو في نفس الوقت - يعكس صورةً ناصعةً عن دماثة أخلاق الشاكر، ويدفع الآخرين إلى مقابله بالاحترام والتقدير. ولكن الأجل من ذلك هو أن يكون الشكر على الإحسان وإسداء المعروف سيرةً مستمرةً نابعةً من قناعة راسخة، ويكون صدوره عن وعي وتلقائية بشكل دائم ومستمر.

وهذا ما نقصده من ثقافة الشكر، ففرق كبير بين أن يصدر الشكر بدوافع آنية وفي ظروف معينة، وبين أن يكون صدوره بشكل مستمر وبتلقائية تعبّر عن قناعة راسخة تبلورت عبر مراحل تربوية وتجارب عملية تجسّدت في حصول تلك الملكة التي تجعل صاحبها يفعل الشيء بتلقائية

ويُسر، ومن دون تصنُّع وتكَلُّف، فإذا كان الشخص كذلك أمكن وصفه بأنَّه يمتلك ثقافة الشكر، وإلا فلا.

وقد أشار القرآن الكريم إلى وجود مرتبتين من الشكر، فقال تعالى في وصف الإنسان: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾<sup>(١)</sup>، وقال في وصف النبي نوح عليه السلام: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾<sup>(٢)</sup>، فهناك الشاكر الذي يعترف بفضل الله ولا يجحد أنعمه، وهناك مَنْ هو أرفع مرتبةً من ذلك، وهو الشكور الذي تجدَّرت فيه هذه الصفة، وصارت عنده سجية وثقافة يمارسها باستمرار؛ فإنَّ صيغة (فَعول) التي جاءت عليها كلمة شكور هي من صيغ المبالغة التي تتضمن الدلالة على تكرر صدور الوصف أو الفعل، كالشكر مثلاً<sup>(٣)</sup>.

وهذه الثقافة كما يمكن أن تتحقق بلحاظ الأفراد فكذلك يمكن تصور تحققها بلحاظ المجتمع ككل، فيقال عن المجتمع: إنَّه يمتلك ثقافة الشكر إذا شاعت فيه تلك التلقائية في الشكر بشكل واسع وملحوظ. وإذا كان وجود هذه الثقافة في الفرد يعطيه صفةً إيجابية ومقبولية لدى الناس، فوجودها في المجتمع وشياعها في أوساطه يعطي للآخرين عنه صورةً حضارية ناصعة، ويجعله مثلاً لغيره من المجتمعات.

(١) الإنسان: آية ٣.

(٢) الإسراء: آية ٣.

(٣) أنظر: المراغي بك، أحمد مصطفى، هداية الطالب في علم الصرف: ص ٨٧.

ومن الأمور التي تدعوننا إلى الأسف - وتثير فينا الأسى - ما نراه في مجتمعاتنا في وقتنا الحاضر من مظاهر تجاهل مَنْ يُسدي للآخرين المعروف، وربّما قوبل فعل بعضهم بالاتهام، وعُرِّضَ به استهزاءً وسخرية.

وربما صار أمراً اعتيادياً أن تفسح الطريق للآخرين أو تقدمهم في الدخول أو عند الخروج من المكان، فيتجاهلوك، وكأَنَّهُم فهموا أَنَّ ذاك مقتضى استحقاقهم، وأنَّك أقدمتَ على ما يلزمك فعله.

في الحقيقة إنَّ لهذا التجاهل أو الازدراء مردودات سلبية على فاعل المعروف، وعلى مَنْ فُعل له المعروف، وعلى المجتمع ككل على حدِّ سواء. ففوائد الشكر لا ترجع إلى مَنْ نشكره فحسب، بل لعلَّ ما يحصل عليه الشاكر يفوق ما يجنيه المحسن الذي يُشكر على معروفه؛ ولهذا تجد القرآن الكريم يقول: ﴿وَلَقَدْ ءَايَنَّا لَقْمَنَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾<sup>(١)</sup>، وعن لسان سليمان عليه السلام قال: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۚ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>، ففائدة الشكر ترجع إلى العبد والله غنيٌّ لا يحتاج إلى أحد، وهو سبحانه منزّه عن التقلبات النفسية التي تحصل لنا - نحن البشر - عادةً، فلا يُعقل في حقّه تعالى حصول الدعم المعنوي والراحة النفسية التي يحصل عليها أحدنا عندما

(١) لقمان: آية ١٢.

(٢) النمل: آية ٤٠.

يتلقَى شكراً وتقديراً من أحدهم، ولكنّه مع ذلك يأمرنا بالشكر وعدم جحود نعمه علينا، لما في ذلك من فوائد مرجوة تعود علينا نحن الشاكرين.

وينبغي لنا أن لا نكون أنانيين في طريقة تفكيرنا، وأن لا نجاري - من حيث نشعر أو لا نشعر - طريقة المجتمعات المادية، فننظر إلى ما يرجع إلينا من فائدة من الشكر، وننسى الآخرين من أفراد عائلتنا أو مجتمعاتنا أو أصدقائنا وزملائنا مثلاً.

وفي الواقع فإنّ هذا الجانب - كحال غيره من جوانب الحياة - لم يكن مهملًا في كلمات أهل البيت عليهم السلام حيث تجدهم كثيراً ما يؤكدون على ضرورة التحلي بثقافة الشكر وعدم مقابلة مَنْ يقدّم لنا معروفاً بالجحود والإهمال، فمثلاً ورد في رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام: «أما حقّ ذي المعروف عليك، فأَنْ تشكره وتذكر معروفة، وتكسبه المقالة الحسنة، وتُخلص له الدعاء في ما بينك وبين الله عزّ وجلّ، فإذا فعلت ذلك كنت قد شكرته سراً وعلانية، ثم إنّ قدرت على مكافأته يوماً كافيته»<sup>(١)</sup>.

ومن الملفت في هذه العبارة المذكورة أنّ الإمام عليه السلام لم يقتصر على ذكر ضرورة شكر ذي المعروف فقط، بل إنه عليه السلام بعد أن عدّ ذلك حقّاً ثابتاً في عهدة مَنْ ناله المعروف أكّد على جانب تشجيعه ودعمه بالإطراء عليه أو بمكافأته فقال عليه السلام: «وتكسبه المقالة الحسنة»، وقال أيضاً في ما بعد: «ثم إنّ

(١) الصدوق، محمد بن علي بن الحسين، مَنْ لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٢٢١.

قدرت على مكافأته يوماً كافيته» تأكيداً منه ﷺ على دعم الجانب المعنوي لصانع المعروف؛ لأنَّ هذا أقلُّ استحقاقٍ له على معروفه، ولكي يستمر في فعل المعروف، فلا يندم على ما صنع ويمتنع عن معاودة الإحسان. وقد ورد عن الإمام الصادق ﷺ وصف أولئك الذين يُصنع لهم المعروف فيجحدونه بقاطعي سبيل المعروف، وأتَّهم ملعونون لأنهم يكونون سبباً في امتناع الشخص عن أن يصنع مثل ذلك المعروف إلى غيرهم<sup>(١)</sup>.

### دور الأسرة في تكوين ثقافة الشكر

الأسرة هي الوحدة الأساسية في المجتمع التي يفتح الطفل عينيه فيجد نفسه في أحضانها، ويكون لها الدور الأساسي في تنميته وتأهيله ليكون متفاعلاً مع مجتمعه، ويصير عضواً مؤثراً فيه، وهو ما يعبر عنه بالتنشئة المجتمعية في عرف علماء الاجتماع<sup>(٢)</sup>. وحيث إنَّ الطفل يتلقَّى معلوماته ويستقي خبرته عبر منفذين أساسيين، وهما تلقي التوجيهات من الآخرين، ومحاولة تقليدهم في أفعالهم وسلوكياتهم، فيكون التأهيل بشكل عام عادةً عبر طريقتين: طريقة التلقين وتوجيه الإرشاد إلى الطفل مباشرةً، وطريقة الإيحاء وتقديم النموذج الجيد والمثل الأعلى. وكلتا الطريقتين مهمتان للغاية

(١) أنظر: المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، الاختصاص: ص ٢٤١.

(٢) أنظر: الشرييني، زكريا، ويسرية صادق، تنشئة الطفل وسبل الوالدين في معاملته ومواجهة

ولا استغناء بإحدهما عن الأخرى، فلا فائدة من توجيهات الوالدين الكلامية مثلاً إذا كان سلوكهما العملي يخالف تلك التوجيهات، بل لعل ذلك يأتي بنتائج عكسية، كما إنّه لا تحصل الفائدة التامة مع الاكتفاء بالتطبيقات العملية من قبل المرَبِّ من دون أن يقدِّم للمتلقّي توجيهات وإرشادات يسلِّط الضوء فيها على ما هو صحيح من الأخلاق والسلوكيات ويحث عليه، وينبّه على ما هو فاسد منها ويحدِّر منه<sup>(١)</sup>؛ فلا بدّ لنا من إبداء مزيد من الاهتمام - وعبر هاتين الطريقتين - بالإسهام في تنمية ثقافة الشكر عند أبنائنا، وإشاعة ذلك في أوساط عوائلنا.

وحينما عبّرنا بثقافة الشكر فإنّنا نعني ذلك حرفياً، فلا ينبغي لنا الاكتفاء بمجرد التلميح أو بمثل النصح بأنّ على مَنْ يُصنع له معروف أن يشكر فاعل المعروف مثلاً، بل لا بدّ من جعل الهدف هو أن يكون ذلك سلوكاً مستمراً صادراً عن قناعة راسخة، بحيث تكون لديه ثقافة تشكّل جزءاً من شخصيته، وهذا لا يتحقق إلا إذا كانت هناك أجواء عامة تسود أجواء الأسرة يتربّى في ظلها الطفل، فيتطبّع عليها ويتقبّلها تلقائياً، ومن ثمّ يأتي دور التوجيه والإرشاد المباشر كعامل مساعد ومقومٍ ضروري.

---

(١) ويمكن الاستفادة في هذا المجال - أعني: كيفية التعامل مع الطفل وطريقة تربيته وتنشئته اجتماعياً - من الكتب المختصة بهذا المجال ككتاب (الطفل بين الوراثة والتربية) للشيخ محمد تقي فلسفي، وكتاب (الأسرة وتربية الطفل) للدكتورة هدى محمود الناشف، وكتاب (تنشئة الطفل) للدكتور زكريا الشربيني والدكتورة يسرية صادق.

وطبيعي ليس المقصود من إشاعة ثقافة الشكر هو أن يشكر بعضنا بعضاً حينما نتعامل في ما بيننا فقط، بل مظاهر الشكر التي ينبغي ممارسة هذه الثقافة في مساحاتها وتنميتها عند أفراد الأسرة كثيرة، من قبيل:

- إبداء الرضا بالمستوى المعيشي والإكثار من التصريح بذلك، وعدم التشكي للآخرين.

- المحافظة على النعم الحاصلة، وعدم التفريط بها أو تضييعها.

- تعويد النفس على عدم التوقف والتدقيق في الجانب المظلم لحياتنا مع التغافل عن الجانب الناصع والجميل منها.

- الإفصاح عن الامتنان للآخرين وإشعارهم بإدراكنا لما يقدمونه لنا وما يبذلونه من جهود في سبيل إسعادنا وسد احتياجاتنا.

وعلى كل حال، فإنَّ نفس وجود الأسرة التي تعطينا الأمان - وتهب لنا

الشعور بالسكينة، وتُشبع فينا الجانب العاطفي، وتقدم لنا الدعم المعنوي -

هو من النعم العظيمة التي ينبغي شكرها، فلا بدَّ من الحديث في هذا المجال

بين فترة وأخرى، وحث أفراد الأسرة على المحافظة عليها، وبثَّ الشعور

بالامتنان من بعضهم للبعض الآخر؛ فإنَّ ذلك سيكون داعياً لأفراد الأسرة

لممارسة الشكر بمختلف مظاهره، وسيكون سبباً في شيوع ظاهرة الشكر بين

أفراد الأسرة أولاً والمجتمع عموماً من بعد ذلك.

## ظاهرتا التذمر والعتاب

وعلى العكس من تيار ثقافة الشكر، يجري في واقعنا تيار التذمر والعتاب، فمن المؤسف أن بعضاً منا لا يفتقر إلى ثقافة الشكر فحسب، بل تجده يمتهن التضجر والتذمر، ويجيد أسلوب العتاب، فصار مألوفاً لدينا أن تناقش أحدهم في أيّ موضوع اجتماعي أو سياسي أو ديني فيربطه بواقعه المرير ومآسيه التي يعيشتها - بحسب نظره - وإن كانت خيوط الربط ضعيفة، كخيوط بيت العنكبوت، بل ربّما تجده يذهب بعيداً، فيقيّم الأفكار والتوجهات والمذاهب في ضوء نظرتة التشاؤمية تلك.

وبات شيئاً متوقِعاً أن تواسي أحدهم على فشله في الامتحان في دراسته مثلاً، وتحاول تشجيعه، فيقابلك بكيل من العتاب على مدرسيه، أو على أهله، أو على المجتمع قاطبة!

وما جلت ببصرك في القنوات الإعلامية - سواء كانت المرئية منها أو المسموعة أو المقروءة - إلا وواجهتك صور شتى من صور التشكي، ومحاولات استعطاف الآخرين، أو دفع أطماعهم وردع حسدهم.

إنّ التذمر والتشكي لا يثمر غير التقاعس والانطواء، وابتعاد الناس عن الشخص الذي يكثر ذلك. وكما قلنا سابقاً<sup>(١)</sup> فإنّ من ينظر إلى نصف الكأس

---

(١) في مستهل المبحث الأول من الفصل الأول.

الفارغ فقط عليه أن لا يجعل النصف الآخر المملوء فارغاً كذلك، فالحياة كما تحتوي على مصاعب ومصائب وآلام، فهي تشتمل على نِعَمٍ ومواهب تستحق أن نقدرها ونعطيها حقها من الشكر، وأن نحافظ عليها ونستغلها في سبيل أن نعيش حياتنا بسعادة، فالشعور بالسخط وكثرة التشكي لا يجعل الإنسان سعيداً، وإن كان قد يشعره بالراحة المؤقتة حينما يتشكى ويرى تعاطفاً من الآخرين معه، إلا أن هذا الشعور هو في الحقيقة كالدواء المسكن الذي سرعان ما ينقضي مفعوله فيعود المريض إلى أوجاعه وآلامه، بينما النظرة الإيجابية للحياة تعطي للإنسان طاقة إيجابية، وتُضفي عليه نشاطاً، وتهب له شعوراً بالقناعة والرضا، وتجذب الناس إليه، أو على الأقل لا ينفرهم عنه كما تصنعه كثرة التشكي .

إنَّ كثيراً من مشاكلنا يمكننا حلها أو تجاوزها ذاتياً ومن دون تغيير للواقع الخارجي، بل يكون ذلك بتغيير طريقة تفكيرنا، أو محاولة إبدال نظرنا للأمور ونمط تعاملنا معها.

يقال: إنَّ الفيلسوف اليوناني زينون شاهد شخصاً مهموماً فسأله عن سبب همه، فذكر الشخص أنَّ سبب همومه هو الفقر الذي يعيشه، فقال له زينون: تخيّل لو أنّك كنت غنياً جداً وركبت في بعض أسفارك في سفينة، وحينما توسطت السفينة البحر انخرقت وأوشكت على الغرق، وعرض

عليك آنذاك مَنْ له قدرة على إنقاذك أن تفتدي نفسك بكل ما تملك، فهل تتردد في أن تشتري سلامتك بهالك كَلِّه؟ فقال له الشخص: لا أتردد في ذلك. ثم قال له زينون: وافرض أنك كنت ملكاً وأحاط بك مَنْ يريدون قتلك إلا إذا تنازلت عن حكمك وملكك، أفلا تتنازل عن ذلك في سبيل الإبقاء على حياتك؟ فأجابه: بلى، أصنع ذلك. فقال له زينون: فما أنت الآن ذاك الغني الذي نجا من الغرق، وذاك الملك الذي سلم من القتل<sup>(١)</sup>.

بل إن كثرة العتاب ولوم الآخرين يأتي بنتائج عكسية على الطرفين، فهو يكره الآخرين بالمتشكي المتظلم الذي يكثر من العتاب واللوم ويعدّهم عنه، ويبعث الإحباط في نفس الشخص المقابل، ويتشغل منه الرغبة في الاستمرار، ويقتل فيه روح النشاط. وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «لا تُكثِرَنَّ العتابَ فإنه يورث الضغينة»<sup>(٢)</sup>.

### تعزيز الشعور بالرضا وتقدير النعم

ومن أهم العوامل المؤثرة إيجاباً في تكوّن ثقافة الشكر على المستوى الفردي والاجتماعي حصول الشعور بالرضا بالواقع المعاش، والنظر إليه بنظرة إيجابية، وتقدير النعم التي نحظى بها، وهو ما قد يُعبّر عنه على مستوى

(١) أنظر: الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل: ج ٢، ص ٩٨.

(٢) التميمي الأمدي، عبد الواحد بن محمد، غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٧٩.

الكتابات الحديثة بـ(الشعور بالامتنان)<sup>(١)</sup>، وإشاعة هذا الشعور بين أفراد المجتمع.

وطبيعي ليس المقصود أن نسعى لتحقيق مثل هذا الشعور عند الأشخاص في لحظة ما وفي ظرف معين، أو عندما يتم إلفات نظره إلى الجوانب الإيجابية في حياته وما وصله من نعم قد يكون غافلاً عنها فعلاً،

---

(١) يجدر الالتفات إلى أن لكلمة الامتنان في مداولاتنا الكلامية المتعارفة الاعتيادية وفي الكتابات المعاصرة استعمالين: أحدهما تكون فيه بمعنى المن؛ فيقال: الله ذو امتنان على خلقه، يعني: له المنّة عليهم بها أنعمه. وثانيهما تكون فيه بمعنى إدراك المعروف، والاعتراف به، والشعور بالرضا لما نال الشخص منه. وتلاحظ أنّها في الاستعمال الأول تتعدى بـ (على)، كما في قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ (الحجرات: آية ١٧)، بينما هي في الاستعمال الثاني تتعدى باللام، فيقال: (أنا ممتنٌ لك). هذا، ولكن من يراجع المعاجم والنصوص القديمة قد لا يجد للاستعمال الثاني أثراً. والظاهر أنّ استعمال عامة الناس في هذا الوقت لهذه المفردة بكثرة ناشئ من أخذها من التركيبة (memnun) بمعنى سعيد أو مسرور، أو من (ممنون) بمعنى شاكر في الفارسية، واستعمالها في الكتابات العلمية والثقافية ناشئ من الترجمة من اللغات الأخرى كالإنجليزية مثلاً التي قد تستعمل فيها بالمعنى الثاني كلمة (Gratitude) بمعنى امتنان، و (Grateful) بمعنى ممتن. ونحن ارتأينا هنا المجازة في ما هو متعارف ومتداول من استعمال الامتنان بالمعنى الثاني؛ لوضوحه في الأذهان، وكونه مألوفاً لدى عامة الناس، ومتداولاً بكثرة في الكتابات الحديثة، ولكن مع التنبيه على ما ذكرناه من عدم كونه استعمالاً فصيحاً، أو ربما عدم وجوده في الاستعمالات العربية القديمة.

فهذا أمر يحصل لكل شخص عادة ولا يحتاج إلى تأكيد عليه، أو بذل جهد إضافي لتحصيله، وإنما المقصود السعي لتحقيق الشعور بالامتنان وتقدير النعم بما هو حالة نفسانية يستقر عليها الشخص في أكثر أوقاته وحالاته، بحيث تكون هذه الحالة جزءاً من ذاته ومَعْلَمًا من معالم شخصيته، فكما يوصف الشخص بأنه ودود أو شجاع، أو كريم أو لئيم، ونحو ذلك، فقد يوصف بأنه شكور أو ممتن. وهذا ما قد يعبر عنه بحصول الملكة؛ فإنَّ الأوصاف والهيئات التي تحصل للنفس إن كانت بعد حصولها سريعة الزوال كالخجل بسبب موقف ما، أو الغضب الذي تثيره حالة معينة، أو التعجب بسبب حدوث أمر مثير، إلى غير ذلك مما يطراً على الإنسان فيتصرف بها، ومن ثمَّ يزول بشكل سريع، فيُعبَّر عنها بـ (الحالة)، وإن صارت - وبسبب ممارستها بشكل متكرر - راسخة في النفس وثابتة فيها، بحيث لا تزول بسرعة، فهذا ما يعبر عنه بالملكة<sup>(١)</sup>. فما ينبغي أن نسعى إلى تحقيقه وندعو إلى نشره بين أفراد مجتمعاتنا هو هذا، فهو الذي يحقق ثقافة الشكر، لا مجرد الشعور الإيجابي العابر الذي لا يتحقق إلا عند إيجاد مثيراته.

ولهذا تجد القرآن الكريم حينما يريد معنى صدور الشكر كجزءٍ على عملٍ ما يعبر بـ (الشاكر)، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّغَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ

(١) أنظر: الحفني، عبد المنعم، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة: ص ٨٣٤.

فَمَنْ حَجَّ أَلْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾، فالذي يتطوع ويأتي بهذا الفعل - يعني: السعي<sup>(٢)</sup> - فإن الله يشكره ويُجزيه، وفي مقابل ذلك فإنه حينما يريد معنى الاتصاف بالشكر بنحو مستمر وثابت يعبر به (الشكور)، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾<sup>(٣)</sup>، فنعتوا الله سبحانه بأنه غفور وشكور، أي: هو دائماً كذلك كما هو واضح<sup>(٤)</sup>؛ فالشاكِر هو في معنى مَنْ وقع منه الشكر، بينما الشكور هو مَنْ يتكرر منه الشكر<sup>(٥)</sup>.

وعلى أية حال، فهذه الحقيقة - أعني: ضرورة تعزيز الشعور بالامتنان والشكر والحاجة إلى زرعها كملكة في نفوس الناس - قد التفت إليها

(١) البقرة: آية ١٥٨.

(٢) ويستفاد من روايات أهل البيت عليهم السلام أن المقصود من التطوع هو كونه سنة، بمعنى أن النبي صلى الله عليه وآله قد أضافه إلى مناسك الحج والعمرة، بخلاف الطواف حول البيت؛ فإنه فريضة، بمعنى أن تشريعه من الله عز وجل. أنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٤، ٣٧٩، الحديث ٧ من باب (المحرم يأتي أهله وقد قضى بعض مناسكه).

(٣) فاطر: آية ٣٤.

(٤) ويجدر الالتفات إلى أن وصف الله سبحانه وتعالى بالشاكِر أو الشكور هو من المجاز، وإلا فإن الله سبحانه لا يناله نفع أو إحسان من أحد حتى يكون شاكرًا له على ذلك، وإنما يوصف بالشاكِر أو الشكور من جهة أنه يعامل المطيع في حسن الجزاء معاملة الشاكِر لمن أنعم عليه. أنظر: ابن شهر آشوب المازندراني، محمد بن علي، متشابه القرآن ومختلفه: ج ١، ص ٨٥.

(٥) أنظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان: ج ٨، ص ٢٠٤.

المختصون بعلم النفس أخيراً، فبعدما كانت الجهود في علم النفس - إلى وقت قريب - كلها تستهدف فهم الأمراض النفسية وتحليل المفاهيم التي ترتبط بالمشاكل النفسية، من قبيل الاكتئاب والفصام والإدمان، ومحاولة إيجاد العلاج لتلك الأمراض صار كثير منها اليوم يسعى إلى الإسهام في دعم ما هو سليم في النفس وتطوير الجوانب الإيجابية فيها وتميئتها، فنشأ في وقتنا الحاضر ما يسمّى بـ(علم النفس الإيجابي)، والذي يعدُّ الشعور بالامتنان وتقدير النعم من أهم جوانبه<sup>(١)</sup>.

وطبيعي ليس المقصود من ذلك التشجيع على الخنوع والسكوت عن الظلم وسلب الحقوق، فلا ينبغي الخلط بين الأمرين، ففرق بين أن تكون هناك جوانب إيجابية في حياتنا قد نغفل عنها، فتتسرب إلينا النظرة السلبية إلى الحياة، فيعم التشاؤم والسخط في المجتمع؛ بحيث يصير المجتمع سلبياً في حياته، ويكون الفرد فيه انطوائياً لا يشغله غير التظلم ومحاولة إثارة المشاعر تجاهه، وبين أن تُسلب حقوقنا أو لا تصلنا النعم التي كان ينبغي أن تصلنا

---

(١) ويُعدُّ (مارتين سيلجمان) المؤسس لعلم النفس الإيجابي الذي صار فرعاً مستقلاً من فروع علم النفس، يتميز بتركيزه على تحسين الأداء الوظيفي العام للإنسان، والتركيز على العوامل التي تفضي إلى تمكينه من العيش حياة مُرضية ومشبعة، يحقق فيها طموحاته، ويوظف فيها قدراته إلى أقصى حد ممكن، وصولاً إلى الرضا عن الذات وعن الآخرين وعن العالم بصفة عامة. أنظر: أبو حلاوة، محمد السعيد عبد الجواد، علم النفس الإيجابي، ماهيته ومنطلقاته النظرية وآفاقه المستقبلية: ص ١٣ وما بعدها.

بسبب قهر الغير وتسلمته؛ ولهذا تجد الإمام الحسين عليه السلام - وهو سيد الثائرين ونبراس المتفضين على الظلم - حينها ينظر بالمنظار الأول - يعني: النظر إلى النعم التي جاد بها الله سبحانه عليه بمنظار التقدير والرضا - يقول في دُعاء عَرفة: «لو حاولتُ واجتهدتُ مدى الأعصارِ والأحقابِ - و عُمَرْتُها - أن أُؤدِّي شُكرَ واحدةٍ مِن أنعمِكَ ما استطعتُ ذلك إلا بِمَنِّكَ الموجِبِ عليَّ شُكراً آنفاً جديداً، وثناءً طارفاً عتيداً...»<sup>(١)</sup>، وحينها ينظر عليه السلام بالمنظار الثاني - أي: حينها يكون في مقام الوقوف أمام الظلم ومجابهة سلب الحقوق - يقول - في بعض خطبه -: «أيها الناس، إنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله قال: من رأى سلطاناً جائراً، مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير ما عليه بفعل ولا قول؛ كان حقاً على الله أن يدخله مدخله، ألا وإنَّ هؤلاء قد لزموا طاعةَ الشيطان، وتركوا طاعةَ الرحمن، وأظهِروا الفسادَ، وعَطَلُوا الحدودَ، واستأثروا بالفيء، وأحلُّوا حرامَ الله، وحرَّموا حلاله»<sup>(٢)</sup>. وهذه النقطة مهمة وحساسة للغاية، فهناك من اختلطت عليه الأوراق، أو يحاول هو أن يخلطها على الناس، فيحاول تغييب الكلام عن أي شيء إيجابي في حياة الناس - ولأجل غايات سياسية - ويشجع على التظلم، ويسهم في نشر لغة التشكي، والشعور بالحرمان وعدم الحصول على موجبات الشكر، وما أن

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال: ج ٢، ص ٧٧.

(٢) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٠٤.

تحدّث شخص عن الشكر وألفتَ الأنظار إلى موجباته حتى تُهال عليه التهم بركونه إلى جهات الظلم، وابتعاده عن الخط الحسيني الثائر على الظلم ومظاهره.

### عوامل تساعد على اكتساب الشعور بالرضا وتقدير النعم

وهناك عوامل يمكننا الاستعانة بها للوصول إلى حالة الشعور بالقناعة والرضا والقدرة على تقدير النعم، وهو عنصر أساسي في تكوين ثقافة الشكر وإشاعتها كما عرفت، وسوف نذكر منها:

١- محاولة التركيز على ما هو حاصل عندنا من مكتسبات ونعم، وعدم إشغال البال في التفكير بما نفتقده، فإنَّ الغفلة عما عندنا من نِعَم تفوّت علينا فرص الاستفادة من تلك النعم، وبالتالي لا نرى أنَّ هناك موجباً للشكر من الأساس، كما أنَّ إشغال البال في ما نفتقده لا يورث غير الألم والحسرة عمّا فاتنا، ويكون سبباً في حصول القلق والسخط وحالة من عدم الرضا. والأمر لا يحتاج إلى أكثر من التأمل في أحوالنا وما ننعيم به من نعم، والتي غالباً ما نكون غافلين عن أكثرها، فننظر إلى أصل تنعمنا بالحياة، وما نمتلكه من شعور وإدراك، وما حَبانا الله به من نعمة الاختيار وحرية التفكير والتدبير، ونُجبل نظرنا في أجسادنا وما وهبنا الله من عافية، وكيف جعل فيها قابلية لتدبير وظائف أعضائها من دون تدخل لإرادتنا في ذلك، فالآلاف الوظائف تؤدّي في أجسمنا في كلِّ آنٍ وبشكل متناهٍ بالدقّة، سواء كان على مستوى

١٠٠ ..... الشكرُ حصنُ النعم

الدورة الدموية، أو الجهاز التنفسي، أو الجهاز الهضمي، أو الجهاز العصبي، أو غير ذلك. وهكذا على مستوى ما حصلنا عليه من مكتسبات خارجية، كالعائلة، والمسكن، والأصدقاء، والوظيفة، والوجاهة و... مما هو كثير، بل كثير جداً ولا يمكننا إحصاؤه، وبلحاظ جميع الأفراد، فليس هناك مَنْ يمكنه أن يزعم أنه لا يتنعم بشيء من النعم، أو أن ما حصل عليه من النعم هو قليل بالنسبة إليه، إلا أن يكون قد تعامى وتغافل.

٢- أن نتخيّل فقدان ما عندنا من نعم؛ فإنّ ذلك يساهم بشكل كبير في استشعار عظيم ما عندنا من نِعَم، وعدم الغفلة عنها، فأفترض أن لو لم أكن مبصراً، فكيف ستكون حياتي في ظلمة دائمة؟! ولو افترض أنّي مرضتُ مرضاً شديداً، فسيشغلني المرض وآلامه عن كل شؤون الحياة ولا أشعر بلذّة أبداً، ولو سُلبت الأمان وفُرض أنّ ظالماً يتعقبنني ليقتلني مثلاً، فسوف لا يعود لي همٌّ آنذاك غير إنقاذ نفسي، ولا أعود أهتمّ بشيء مما يشغل بالي الآن من مال أو منصب أو جاه، بل ربّما افتديتُ سلامتي بكلّ ما أمتلكه. وهكذا ينبغي الاسترسال في مثل هذه الافتراضات بشكل متكرر، لنعرف مقدار ما أنعم الله به علينا، فيقوى شعورنا بالامتنان، ولتستقر حالتنا على الرضا بها وهبناه والقناعة بها ملكناه.

٣- أن نلاحظ مَنْ هو دوننا في الحالة التي يعيشها، يعني ممن افتقدوا بعض النعم التي حباها الله بها لنقارن أنفسنا بهم؛ فإنّ لهذا تأثيراً إيجابياً

ملحوظاً يُعيننا على تقدير النعم التي حصلنا عليها والاعتزاز بها، والإحساس بالرضا والقناعة، وهذا سبب مباشر لتحقيق الشعور بالامتنان.

٤- إنشاء مفكرة الامتنان، فيتم فيها إثبات النعم التي يتمتع بها الفرد؛ لتكون تذكراً له يرجع إليها في وقت معين من كل يوم، كأن يكون ذلك قبل أن ينام، أو حينما يبدأ يومه في الصباح مثلاً، فيثبت فيها كل نعمة تخطر في باله، أو يلتفت إليها في كل وقت من يومه، ولو بنحو الإشارة والتعداد، أو بأسلوب القصة، كما لو كان يحكي قصة ذهابه إلى المستشفى، فيسرد ما شاهده من مآسٍ وحالات مرضية يعاني أصحابها منها، ويلاقون الويلات من آلامها وتبعاتها في كل حين، أو بأسلوب الخاطرة الأدبية كما لو قيل: إننا قد نحسد الملوك والأكاسرة والفراعنة الماضين على طريقة حياتهم التي عاشوها، ويغيب عن أذهاننا أننا نعيش حياةً تشتمل على سبل عيش كانت بعيدة عن أن يلموا بها، فضلاً عن أن ينالوها، فمنّ منهم كان يخطر في باله أن يسافر إلى بلدان تبعد عنا آلاف الكيلومترات في غضون سويقات قليلة؟! ومنّ منهم كان بإمكانه الحصول على الماء البارد بسهولة وفي كل وقت كما يمكننا نحن الآن؟! وهل خطر في بالهم حينما كان يحاول الخدم والعبيد تحريك الهواء من خلفهم أنه يأتي زمان سيكون بإمكان أيّ فرد منّا أن يقتني جهاز تبريد يلطّف الجو ويرده؟

أو يكتب في هذه المفكرة اقتباسات من كتاب يطالعه، أو مقطع من مقال يقرأه يتناول جانباً يخص النعم التي نحظى بها، أو غير ذلك مما يلفت نظره ويعجبه، فيُدوّنُه لئلا يكون مصيره النسيان.



## الفصل الثالث

### أساليب الشكر



## الفصل الثالث: أساليب الشكر

للشكر أساليب كثيرة جداً، بل لا نبالغ إذا ما قلنا: إِنَّ قائمة تلك الأساليب لا تنتهي، فإبداء الشكر والتعبير عن تقدير النعم لا يتوقف عند حد في عرف معين، ولا ينتهي عند ذوق أو قناعة، فلكل مجتمع طرق وأساليب للشكر تخصه، بل لكل فرد طوقه الخاصة به في التعبير عن ذلك، ولكل موقف من المواقف ما يناسبه من الطرق والوسائل. ولكن تلك الأساليب مهما شَرَّقت وغرَّبت فهي لا تخرج عن مستويات رئيسية ثلاثة، هي:

١- الشكر القلبي: وهو تصور النعمة وإخطارها على البال، واستشعار الامتنان لمن أنعم بها.

٢- الشكر القولي: وهو الثناء على المنعم بالقول، كما في قولنا لمن أسدى لنا خدمة: شكراً لك. أو أنا ممتن لك على ما صنعتَ معي. ونحو ذلك.

٣- الشكر العملي أو الفعلي: وهو مكافأة النعمة بقدر استحقاقها، بمعنى مقابلتها عملياً بما يُعدُّ تقديراً للنعمة ويُفهم على أنه تعبير عن امتنان الفاعل لمن أنعم عليه<sup>(١)</sup>. وعلى هذا؛ فسيقع الكلام في هذا الفصل - والذي هو في أساليب الشكر - ضمن مباحث ثلاثة: الأول: في الشكر القلبي. والثاني: في الشكر اللساني. والثالث: في الشكر العملي.

---

(١) أنظر: الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، معجم مفردات ألفاظ القرآن: ص ٤٦١.

## المبحث الأول: الشكر القلبي

الشكر القلبي هو تصور النعمة ونسبتها إلى المنعم بها، مع الشعور بالامتنان له والاعتراف بإحسانه، وكما جاء في الرواية عن الصادق عليه السلام: «مَنْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ نِعْمَةً فَعَرَفَهَا بِقَلْبِهِ فَقَدْ أَدَّى شُكْرَهَا»<sup>(١)</sup>، وفي رواية أخرى: أَنَّ مُوسَى عليه السلام حِينَ سَأَلَ اللَّهَ تَعَالَى عَنْ كَيْفِيَةِ شُكْرِهِ، وَالْحَالُ أَنَّهُ كَلَّمَا شُكْرِنَاهُ عَلَى شَيْءٍ اسْتَلْزَمَ ذَلِكَ أَنْ نَشْكُرَهُ مِنْ جَدِيدٍ؛ عَلَى تَوْفِيقِهِ إِيَّانَا لِشُكْرِ النِّعْمَةِ. قَالَ لَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «يَا مُوسَى الْآنَ شُكْرْتَنِي حِينَ عَلِمْتَ أَنَّ ذَلِكَ مِنِّي»<sup>(٢)</sup>.

وعلى هذا فكل أنواع الشكر هي لا تخلو من الشكر القلبي بهذا المعنى؛ لأنَّ الشكر القولي أو العملي هو لا يتحقق من دون تصور النعمة، والاعتراف بإحسان المنعم بها على الشاكر. ولكن مع ذلك فحينما يعبرُ بالشكر القلبي فيراد عادةً الاعتراف والامتنان القلبي المذكور من دون أن يستتبعه تعبير قوليٍّ أو فعليٍّ عن الشكر.

والشكر يتحقق بإبداء امتنان الشخص واعترافه للمحسن، مما يعني أن يصل التعبير عن الامتنان والتقدير له، وحيث إنَّ الشكر القلبي ليس فيه تعبير وإبداء لشيء - وإنَّما هو مجرد حالة وجدانية تحصل في القلب لا يعلم بها غير الله عَزَّ وَجَلَّ الذي يعلم ما في القلوب والشخص الذي حصلت لديه تلك

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٩٦.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٩٨.

الحالة - فلا يمكننا أن نتصور توجه الشكر القلبي إلا إلى الله سبحانه وتعالى، بمعنى أنه لا يكون المشكور فيه إلا الله سبحانه وتعالى. بينما الشكر القولي وهكذا الشكر العملي يمكن فيهما تصور كون المشكور هو الناس، كما يمكن تصور كونه الله سبحانه وتعالى.

ولأجل هذا أمكن القول: بأنه يبرز في الشكر القلبي الجانبُ العباديُّ، وربَّما أمكننا التعبير عنه بعبادة الشكر، وإن كان يمكن تصور تحقق هذا الجانب - أي: العبادي - في الشكر القولي والعملي أيضاً، بأن يردّد الشخص ألفاظ الشكر لله رجاءً حصوله على الثواب، أو لأجل أن يزيده الله من فضله ونحو ذلك، أو سجد لله عند تجدد النعم عليه، أو قدم معونة مادية لشخص محتاج بداعي شكر الله على توسعته عليه بالرزق مثلاً ونحو ذلك، إلا أنه يبقى بارزاً في الشكر القلبي بشكل واضح، مضافاً إلا أن تحقق العبادية في نظريه من الشكر القولي والعملي أيضاً منوط بالقصد القلبي ونية الخضوع لله سبحانه.

### الشكر القلبي نصف الإيمان

ويتجسّد ما ذكرناه آنفاً من بروز الجانب العبادي في الشكر القلبي في الحديث الشريف: «الإيمان نصفان: نصفٌ صبرٌ، ونصفٌ شكرٌ»<sup>(١)</sup>. والمقصود المبالغة في أهمية هذين الأمرين، أعني: الشكر، والصبر، بحيث ساغ حصر

---

(١) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان: ج ٨، ص ٩٤.

١٠٨ ..... الشكرُ حصنُ النعم

مكوّنات الإيمان بهما، فإذا اجتمعاً تحقق إيمان الشخص وكمّل، فهما الركنان الأساسيان له. وهو أمر موافق للوجدان والواقع، فإذا كان الإنسان ينسب كل ما يحصل له إلى الله سبحانه، ثمّ إن كان ما حصل له خيراً شكر الله عليه، وإن كان من الابتلاء - أو مما نراه سوءاً - صبر عليه ولم يجزع، فهو واصل لمرتبة عالية من الإيمان بكل تأكيد.

والمقصود من الشكر هنا الشكر بما هو ملكة، لا الشكر بما هو حالة قد تحصل كردّ فعلٍ لموقف معين، ويدل على ذلك قرينة المقابلة مع الصبر الذي هو من الملكات جزماً، فكما لو قيل: (هذه أكلة باردة وليست هي كالفلفل الحار) نعرف - من المقابلة بالفلفل الحار - أنّ المقصود من البرودة التي وصفت بها الأكلة هي برودة الطعم لا البرودة التي نحسها باللمس والناشئة من التسخين بالنار ونحوها، وإلا فقد تكون هي من هذه الناحية حارة، بل ربّما لا زالت تُطبخ وتتعرض لحرارة النار، فكذلك نفهم من مقابلة الشكر بالصبر أنّ المقصود منه هو الملكة النفسانية الحاصلة في القلب؛ لأنّ المقصود من الصبر - قطعاً - هو ملكة الصبر ونفس قابلية الشخص على التحمل عند البلايا والنوائب، لا مجرد تحمله في بعض المواقف. هذا مضافاً إلى أنّ من البعيد أن تُجعل ممارسة الشكر - ومجرد ترديد ألفاظه أو إبداء الامتنان إزاء المواقف التي تستحق الشكر - نصف الدين، بخلاف ملكة الشكر وكون العبد ممتناً لله بقلبه ووجدانه دائماً أو غالباً؛ فإنّه لا استبعاد في أن يجعل تحقّقه في الشخص بمثابة تحقّق نصف دينه وأن يكون نصفه الآخر الصبر على

الابتلاءات. ولذلك نجد القرآن الكريم يكرر التعبير بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾<sup>(١)</sup>، في أكثر من موضع، فكان هذا مقابلاً لمثل قوله تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿وَإِنَّهُ لَنذِكْرٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، و﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٤)</sup>، ونحوه، فهذه الآيات جميعاً تُخبر بأنَّ المعنيَّ بالآيات والذكر إنَّها هو فئة خاصة. وأما مَنْ هي تلك الفئة الخاصة؟ فقد عبَّرت عنها المجموعة الأولى من الآيات بمنَّ كان صَبَّاراً شكوراً، بينما عبَّرت عنها المجموعة الثانية بالمتقين، فنفهم منها أنَّ هناك مساواةً من هذه الناحية بين الوصفين، وتعبير آخر: إنَّ المتقي هو مَنْ كان صَبَّاراً شكوراً، والعكس أيضاً صحيح.

### الشكر القلبي العبادة الخفية

الشكر القلبي فرع الالتفات إلى النعم، فصحيح أنَّ النعم محيطة بالناس دائماً، ولكن الالتفات إليها هو ليس كذلك، فالإنسان في كثير من الأحيان يغفل عنها ولا يلتفت إليها، بل حتى لو التفت إلى جانب منها فعادة ما تكون جوانب أخرى خافية عنه، وهو - أي: الشكر - بهذا يختلف عن الصبر الذي

(١) إبراهيم: آية ٥. لقمان: آية ٣١. سبأ: آية ١٩. الشورى: آية ٣٣.

(٢) آل عمران: آية ١٣٨.

(٣) المعارج: آية ٤٨.

(٤) البقرة: آية ٢.

١١٠ ..... الشكرُ حصنُ النعم

يُعدُّ شقيقه التوأم كما عرفت آنفاً؛ على اعتبار أنَّ الصبر يكون على البلايا عادةً، وهي مما توجب تفاعل الإنسان معها، وتترك أثرها في نفسه، فتفرض وجودها عليه، ولا تترك مجالاً لأن يغفل عنها ولا يلتفت إليها، فدواعي الصبر واضحة بيّنة لا خفاء فيها، وليس حالها كحال داعي الشكر وموجباته. ولأجل هذا؛ فإن أكثر الناس يغفلون عن هذه العبادة المهمة، أو يقصرون فيها مع عظيم فائدتها. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

ومن هنا؛ تأتي أهمية تربية النفس على التفكير في هذا الجانب، وأن نعوّد أنفسنا على التأمل في نعم الله تعالى علينا، وأن لا ننساق مع ظواهر الأمور، ونكتفي بالنظرة المتعارفة والمعتادة عند الناس، والتي تبثني على النظر إلى جريان الأمور بشكل روتيني من دون نسبتها إلى الله الذي هو المقدر والمدبر للأمر جميعها.

ويمكننا القول - بهذا الصدد -: إنَّ من بين أخطر الأمور علينا في هذا المجال اعتياد النعم، فهو سبب رئيسي للغفلة عنها. وفي مقابل ذلك يكون اعتياد التفكير في النعم من أهم طرق الوقاية من الوقوع في هذه الظاهرة السلبية. ومن أساليب التفكير بالنعم النافعة - والتي تُسهّم في أن لا تستولي على

---

(١) البقرة: آية ٢٤٣. غافر: آية ٦١.

الشخص الغفلة، وأن لا يقع في محذور اعتياد النعم - النظر في النعم التي حصل عليها الشخص، وافترض سلبها منه، أو مقارنة نفسه بمن افتقد هذه النعم مع إدراك أنه لا فرق بينه وبين أولئك الذين فقدوا تلك النعم، إلا أن الله سبحانه اختاره ليكون مورداً لها دون أولئك.

وتعد هذه الطريقة - مع كونها أسلوباً لدفع الغفلة وإبعادها - أسلوباً من أساليب الشكر القلبي، وصورة من صور عبادة الشكر في الوقت نفسه.

وكان بعض العلماء والصالحين يتبعون هذه الطريقة في مجال تربية النفس وتهذيبها، فيحفرون لهم قبراً ويدخلون فيه، فيتخيّلون أن مدّة حياتهم قد انتهت، وأن فرصة التدارك قد فاتت، فيردّدون الآية التالية: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ﴾<sup>(١)</sup> لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا<sup>(٢)</sup>، فيحدّثون أنفسهم بأن الله استجاب لهم وأعادهم إلى الحياة؛ ليبدؤوا حياتهم من جديد<sup>(٣)</sup>؛ فهذا الفعل يُدرك الإنسان أهمية ما وهب من نعمة عظيمة لا تضاهيها نعمة أخرى، وهي نعمة الحياة، وأن يمتلك الإنسان كامل إرادته ويتمتع بحرية اختياراته، وأن تكون له فرصة سانحة لتدارك أخطائه وتصحيح مساره<sup>(٤)</sup>.

(١) المؤمنون: آية ٩٩ - ١٠٠.

(٢) أنظر: الأملي، محمد تقى، مصباح الهدى في شرح العروة الوثقى: ج ٦، ص ٢٢٥.

(٣) وهذه الطريقة التي اتبعها غير واحد من العلماء والصالحين مستقاة من بعض وصايا أئمة أهل البيت عليهم السلام. أنظر: ابن شعبة الحراني، الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول: ص ٢٧٢.

### الشكر القلبي أسلوب وغنيمة

ولحصول حالة الشكر القلبي لدى الإنسان فوائد عظيمة تعود عليه؛ فإنَّ نفس حصول الرضا والقناعة لديه يعدُّ مكسباً نفسياً مهماً له، تتفرع عليه ثمرات كثيرة، من قبيل حصول الطمأنينة، والاستقرار النفسي، والشعور بالرضا وتقدير الذات؛ ولذلك ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «إِنَّ أَهْنَأَ النَّاسِ عَيْشاً مَنْ كَانَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ رَاضِياً»<sup>(١)</sup>، فَمَنْ كَانَ قَانِعاً بِمَا هُوَ حَاصِلٌ لَهُ غَيْرَ مَتَشَكِّئٍ وَلَا مَتَذَمِّرٍ، فَهُوَ مَكْتَسِبٌ لِحَالَةِ الرِّضَا الَّتِي نَتَحَدَّثُ عَنْهَا، فَمِثْلُ هَذَا الشَّخْصِ سَيَكُونُ مَرْتاحَ الْبَالِ هَانِئَ الْعَيْشِ، وَحَتْمًا لَا يَصِيبُهُ الْقَلْقُ بِخُصُوصِ مَا سَيَحْصُلُ، أَوْ فَقْدَانِ مَا عِنْدَهُ.

وما أروع قول الإمام علي الهادي عليه السلام - في وصف مَنْ يعيش حالة الشكر والامتنان والرضا بما هو حاصل وعدم القلق مما يحصل - حيث يقول عليه السلام: «الشَّاكِرُ أَسْعَدُ بِالشُّكْرِ مِنْهُ بِالنِّعْمَةِ الَّتِي أُوجِبَتِ الشُّكْرُ؛ لِأَنَّ النِّعْمَ مَتَاعٌ، وَالشُّكْرَ نِعْمٌ وَعُقْبَى»<sup>(٢)</sup>، فحالة القناعة والرضا والشعور بالامتنان لمن وهب النعم لها أثرٌ إيجابي على نفسية الشخص أكبر وأقوى من الفائدة التي يحصل عليها حينما يحصل على تلك النعم، وتعبير أوضح: أنه لو رُزق الشخص صحةً جيدةً ومالاً كثيراً مثلاً، فمن الواضح أنه سيستفيد من تمامية الصحة ووفرة المال في حياته، وما يريد أن يبيئه الإمام عليه السلام في الحديث المذكور هو أن

(١) التميمي الأمدى، عبد الواحد بن محمد، غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٩٣.

(٢) ابن شعبة الحراني، الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول: ص ٤٨٣.

الشخص المذكور لو كان ملتفتاً إلى هاتين النعمتين مثلاً وشاكراً لله عليهما وراضياً وقانعاً بما حباه الله به، بأن كان يعيش حالة الامتنان، فالفائدة التي سيحصل عليها بسبب هذه الحالة المعنوية تفوق تلك الفوائد التي تناله من نفس النعمتين المذكورتين، أعني: الصحة الجيدة ووفرة المال. ولم يكتفِ الإمام عليه السلام بهذا المقدار حتى راح يوضح السبب في ذلك، فقال: «... لأنَّ النعم متاعٌ، والشكر نِعْمٌ وَعُقْبَى»، أي: النعم - كالصحة والمال - يُتَنَعُّ بها ويستفاد منها ثمَّ تَفْنَى في الدنيا<sup>(١)</sup>، بينما الشكر والامتنان يُستفاد منه في حياتنا؛ فنعيش حالة من الرضا والسكينة والاستقرار النفسي، ويبقى أثره فينا؛ لأنَّه - بما هو حالة نفسانية - سيكون جزءاً من وجودنا وواحدًا من مقوِّمات شخصيتنا، فيُضفي على وجودنا وجوداً مشرقاً فيبقى أثره ما بقيت ذواتنا.

### المبحث الثاني: الشكر القولي

والمقصود من الشكر القولي هو ما يقابل به الشخص مَنْ أحسن إليه من عبارات الثناء والامتنان، كقوله له: شكراً لك. أو أشكرك، ونحو ذلك؛ ولذلك فهو قد يعبر عنه بالشكر القولي، على اعتبار أنَّه يتمثل بالعبارات والأقوال، فالسمة الأساسية التي يمتاز بها الشكر القولي هي الإبراز، أي: إبراز الشخص عما في نفسه من شعور بالامتنان لمن يُحسن له وإفصاحه له عما يجالجه من اعترافٍ بمعرفه.

(١) أنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج٨، ص٣٢٩، مادة (م، ت، ع).

ومن هنا؛ فهو يكون فرع تحقق الشكر القلبي، بمعنى أنه يتحقق الامتنان القلبي أولاً، ثم يأتي دور الشكر القولي بالإفصاح عن الحالة القلبية. وما دام هناك إفصاح عن الامتنان، فيمكن تصور توجهه لله تعالى وللناس أيضاً، خلافاً للشكر القلبي الذي لا يكون إلا مع الله تعالى؛ لأنه حالة قلبية لا يطلع عليها إلا هو سبحانه كما تقدم.

قال بعضهم:

ومنَ الرِّزِيَةِ أَنْ شُكِرِي صَامَتْ      عما فعلتَ وَ أَنْ بَرَكَ نَاطِقُ  
وَأَخَفْتُ مَا جَشِمْتُ<sup>(١)</sup> امرؤٌ وَسَعَى له      يوماً لذي النُّعْمَى الثَّنَاءُ الصَادِقُ  
أَرَى الصَّنِيعَةَ مِنْكَ ثُمَّ أُسِرُّهَا      إِنِّي إِذْ لِيَدِ الْكَرِيمِ لَسَارِقُ<sup>(٢)</sup>.

ومقصوده من وصف الشكر بالصمت عدم تحقق الشكر منه، فهو تعبير بلاغي عوّض به الشاعر عن قوله: ومن الرزية - أي: المصيبة - أن لساني صامت عن النطق بالشكر.

### أهمية الشكر القولي

ويحظى الشكر القولي بأهمية كبيرة جداً، سواء كان على صعيد شكر الله سبحانه وتعالى، أم على صعيد شكر الناس.

(١) أي: تكلف وتحمل. أنظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج٦، ص٤٠.

(٢) أبو تمام، حبيب بن أوس، ديوان أبي تمام: ج٢، ص٤٥٤.

أمّا على مستوى شكر الله ﷻ فقد ورد في الحديث: «تمام الشكر قول الرجل: الحمد لله ربّ العالمين»<sup>(١)</sup>، وقد روى بعض أصحاب الإمام الصادق أنّه ﷺ في بعض الأيام خرج من المسجد فلم يجد دابته، فقال: لئن ردّها الله عليّ لأشكرنّ الله حقّ شكره. وبعد مضي وقت يسير وجدها بعضهم، وجاء بها إلى الإمام، فقال ﷺ: «الحمد لله»، فقال له بعض الحاضرين معترضاً: جُعِلت فداك أليس قلت: لأشكرنّ الله حقّ شكره؟! أي: إنك كنت قد وعدت بأن تشكر الله حقّ شكره لو أنّك وجدت الدابة، فكيف تكتفي بقولك: الحمد لله. فقال له الإمام آنذاك: «ألم تسمعني قلت: الحمد لله؟»<sup>(٢)</sup>، بمعنى أن ذلك هو حق الشكر.

وليس هذا غريباً؛ فإنّ التلطف بذلك كان تعبيراً عن حالة قلبية، فهو ليس مجرد لقلقة لسان وترديدٍ للألفاظ. وصحيح أن الله تعالى مطلع على تلك الحالة القلبية، إلا أنّ إبرازها يكسبها صفةً إيجابية أخرى يجبها الله ويريد من العبد أن يحققها، ويكون هذا نظير ما ورد في الروايات القائلة: إنّ الله يستجيب دعاء العبد، ولكن يؤخر حاجته شوقاً منه لسماع صوت عبده<sup>(٣)</sup>، فرغبة العبد بتحقيق حاجته تجعله يستمر بالدعاء والإلحاح بالطلب، وهذا ما يُجبه الله تعالى.

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٩٥.

(٢) المصدر السابق: ص ٩٧.

(٣) المصدر السابق: ص ٤٩٠.

ومن هنا تتضح أهمية توجيه الشكر القولي لله سبحانه وتعالى؛ إذ هو يمثل صورة من صور الطاعة لله سبحانه وتعالى، ويُعدُّ تحقيقاً لشيء محبوب لديه ومقرَّبٍ له تعالى، فيُثاب عليه العبد كما يُثاب على سائر الطاعات. بل لا يقتصر الأمر على هذا، فقد ورد في الحديث: «ما أُنعم الله على عبْدٍ مِنْ نِعْمَةٍ فَعرفها بِقَلْبِهِ وحمد الله ظاهراً بلسانه فتمَّ كلامه، حتى يؤمر له بالمزيد»<sup>(١)</sup>، فالثمرة المترتبة على الشكر القولي مركبة وفيها جانبان: دنيوي، وهو الزيادة في الخير والعطاء، وأخروي وهو الأجر والثواب.

وأما على مستوى شكر الناس بالشكر القولي، فمن الواضح أنَّ الأهمية تتأكد من جهة أنَّ الذي يستحق الشكر هنا لا يمكنه الاطلاع على حالة الامتنان والاعتراف بالفضل له التي يشعر بها مَنْ يتوجب عليه الشكر، فتتجسّد الحاجة إلى إبراز ذلك بالقول. هذا مضافاً إلى أنَّ ترديد عبارات الشكر بين الناس هو في حدِّ نفسه شيء حسنٌ وجميل، ويمثّل ثقافة شخصية أو مجتمعية عامة، تعبّر عن رقيِّ الأفراد أو المجتمع. بل يترتب على هذه الثقافة إيجابيات أخرى من قبيل: تليين القلوب وتقاربها، وتقوية أواصر المجتمع؛ فإنَّ القلب كما يهفو إلى مَنْ يُحسن إليه، فهو كذلك يميل إلى مَنْ يقرُّ لصاحبه بالامتنان ويعبر عن تقديره له ولفضله وإحسانه.

### الشكر باللسان وملكة الشكر

وهناك فائدة مهمة للشكر القولي، وبتعبير أدق: لاعتیاد ترديد عبارات الشكر، وتمثّل تلك الفائدة في تبلور ملكة الشكر أو تطورها ونمائها بالتدرج مع مرور الوقت؛ فإنّ الإنسان بطبيعته يتعامل مع الألفاظ في واقعها الصوتي الذي يسمعه بأذنيه، وصورها الذهنية ورسومها التي تنطبع في باله بشكل مباشر ومستمر، لدرجة أنّه حتى لو لم يخرج عن دائرة أفكاره، وكان جالساً منفرداً في زاوية من زوايا بيته، ويُحِيل في باله الأفكار، فإنّ رسومات الألفاظ التي تُعبر عن المفاهيم التي تحتويها تصورات وأفكاره تكون حاضرة عندئذ لا تبارحه، ولأجل هذا عبّر عن الإنسان بأنّه حيوان ناطق، فإنّ المقصود من قولهم: (ناطق) هو النطق العقلي، وهو القابلية على التفكير<sup>(١)</sup>.

وعلى أية حال، فهناك حالة من التلاحم والتشابك بين الأفكار والمفاهيم الذهنية من جهة، وبين التعبيرات والألفاظ اللسانية من جهة أخرى، وبالتالي فإنّ الشخص إذا اعتاد على ترديد الألفاظ بشكل مستمر فهذا يعني أنّه سيُعيد إجماله المفاهيم والمعاني التي تحملها تلك الألفاظ في ذهنه بشكل مستمر، فإذا كان لتلك المعاني تأثير على خلجات النفس فهي ستترك أثراً مناسباً لتلك المعاني. فمثلاً لو كان الشخص يردد أشعاراً حزينة بشكل مستمر فإنّ معانيها

---

(١) أنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٥٨، ص ١٢٤.

ستجول في باله وسيتفاعل معها شيئاً فشيئاً، وبعد مضي فترة طويلة سوف تتبلور في نفسه بصمة واضحة للحزن، وسيكون الشخص عادةً مرهفاً وذا أحاسيس ومشاعر خاصة.

وهذا في الحقيقة يُعطي لنا تفسيراً لظاهرةٍ حثَّ بعض الروايات على ترديد بعض الآيات أو الأذكار، إمّا مطلقاً، أو في أوقات أو أمكنة أو أحوال خاصة، من قبيل ما ورد عن النبي ﷺ: «مَنْ ظَهَرَ عَلَيْهِ النَّعْمَةُ فَلْيُكْثِرْ ذِكْرَ الْحَمْدِ لِلَّهِ، وَمَنْ كَثُرَتْ هُمُومُهُ فَعَلِيهِ بِالِاسْتِغْفَارِ وَمَنْ أَلْحَّ عَلَيْهِ الْفَقْرُ فَلْيُكْثِرْ مِنْ قَوْلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ...»<sup>(١)</sup>.

ولم يكن الشكر استثناءً من هذه الحقيقة، فهو باعتباره يمثل حالةً نفسانية كما عرفت، فإنَّ المداومة على ترديد عبارات الشكر واعتياد ذلك يُسهم في تكوّن تلك الحالة ويدعمها ويقويها؛ مما يؤدي بالأخير إلى أن تكون ملكةً في الشخص، وجزءاً لا يتجزأ من شخصيته.

ولا يختص ما ذكرناه بالشكر المتوجه إلى الله سبحانه وتعالى، بل يعم شكر الناس، فإنَّ تعويد النفس على التعبير عن الشعور بالامتنان لكل مَنْ يقدم لنا معروفاً، والإفصاح عن تقديرنا وثنائنا لذلك يكون له نفس التأثير من هذه الناحية، ويُنتج لنا نفس النتيجة من المساهمة في حصول ملكة الشكر.

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٨، ص ٩٣.

### تعداد النعم شكر لها

قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾<sup>(١)</sup>، فأمرنا بأن نتحدّث بنعمة ربِّنا علينا، ويبيّن بذلك محبوبية التحدّث بالنعمة لديه سبحانه وتعالى.

ويذكر بعض أصحاب الإمام الصادق عليه السلام أنّه سأله عن معنى الآية الشريفة المذكورة، فقال عليه السلام: «الذي أَنْعَمَ عَلَيْكَ بِمَا فَضَّلَكَ وَأَعْطَاكَ وَأَحْسَنَ إِلَيْكَ، فَحَدِّثْ بِدِينِهِ وَمَا أَعْطَاهُ اللَّهُ وَمَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ»<sup>(٢)</sup>.

والقضية لا تخص شكر الله فقط، بل تشمل سائر مَنْ يستحق الشكر من الناس أو الجهات أيضاً كما يشهد بذلك الوجدان، فالوالدان مثلاً حينما يستمعان لولدهما وهو يعدُّ ما جادا به عليه من بذل الغالي والنفيس في سبيل سعادته، فهما يُدركان بذلك تقديره لجهودهما، ويفهمان منه معنى الشكر والشعور بالامتنان لهما. وهكذا الزوجة إذا سمعت من زوجها تعاداة لخدماتها له وما سعت به لتوفير سبل الراحة والسعادة له ولأفراد الأسرة، فهي تفهم من ذلك أنّه بصدد شكرها على تلك الجهود والخدمات المبذولة.

ولكن ينبغي التنبه والالفتات إلى أنّ إحصاء النعم وتعدادها هو شيء جيد وحسنٌ إذا صدر من أنعم عليه، وأمّا المنعم نفسه فلا ينبغي له ارتكاب ذلك، بأن يعدُّ النعم بمسمع من الشخص الذي أنعم هو عليه، كما لو قال: أنا

(١) الضحى: آية ١١.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٩٤.

١٢٠ ..... الشكرُ حصنُ النعم

ساعدتُ فلاناً أو يوجه له الخطاب قائلاً: أنا أعطيتك كذا، وصنعتُ لك كذا. فإنَّ هذا من المنِّ المذموم، بل هو محرم شرعاً إذا أوجب أذيةً للمؤمن، وقد قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا بُطْلُوا صِدْقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ﴾ (١).

نعم، للخالق والمنعم الحقيقي أن يرتكب ذلك، فيعدُّ ما أنعم به على عباده تنبيهاً لهم على تلك النعم، وإفاتاً لأنظارهم على ما ينالهم منها، وآيات الامتنان في القرآن كثيرة جداً، كقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤﴾ (٢) وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْئِيلَ لِيَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ (٣).

ومن الأمور القبيحة التي يرتكبها بعض الناس هو التركيز على المصائب والابتلاءات التي تنزل بهم، فتراهم يُحصونها ويعددونها واحدةً واحدةً؛ بداعي التشكي واستعطاف الآخرين أو لغير ذلك، بينما يُصيبهم الخرس حينما يكون الحديث بصدد ذكر ما أنعم عليهم به، وهذا في الحقيقة من الكفر بالنعم؛ فإنَّ الكفر لغةً من التغطية، ولهذا يقال عن مغيب الشمس بأنَّه كافر<sup>(٤)</sup>، والسكوت عن النعم سترٌ لها وتغطية عليها.

(١) البقرة: آية ٢٦٤.

(٢) الرحمن: آية ١ - ٤.

(٣) الفرقان: آية ٤٧.

(٤) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج ٥، ص ٣٥٧.

وقيل: إنَّ المراد من الكنود في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾<sup>(١)</sup>. هو الذي يذكر المصيبات وينسى النعم<sup>(٢)</sup>. وأين هذا من خُلق النبي ﷺ؟! الذي يصفه لنا الإمام الكاظم عليه السلام بقوله: «كان رسول الله ﷺ إذا ورد عليه أمر يسره قال: الحمد لله على هذه النعمة، وإذا ورد عليه أمر يعتم به قال: الحمد لله على كل حال»<sup>(٣)</sup>.

### المبحث الثالث: الشكر العملي

وهو - كما عرفت<sup>(٤)</sup> - مكافأة النعمة بقدر استحقاقها، بمعنى مقابلتها عملياً بما يُعدُّ تقديراً للنعمة، ويُفهم على أنه تعبير عن امتنان الفاعل لمن أنعم عليه. فهو عملٌ يؤديه الشخص كردّة فعلٍ عن إحسان ومعروف أسدي إليه وبداعي تقدير ذلك الإحسان والاعتراف به.

وهو يتحقق إذا تحقق بالعمل ركنان: أن يكون العمل بداعي الشكر للمنعم، وأن يكون فيه إبراز للشكر والتقدير للمنعم على إحسانه، بحيث يُشعره بأنَّ هذا الفعل هو ردُّ لجميله. قال تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾<sup>(٥)</sup>،

(١) العاديات: آية ٦.

(٢) أنظر: البيهقي، أحمد بن الحسين، شعب الإيمان: ج ٧، ص ٢١٧.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٩٧.

(٤) في مستهل الفصل الثالث.

(٥) سبأ: آية ١٣.

أي: بداعي الشكر لله على ما أنعم به عليكم، وهو في بعض صورته يكون من أفضل أقسام الشكر، كما سيأتي قريباً إن شاء الله تعالى.

ثمَّ إنَّ الشكر العملي لا يختص بها إذا كان المشكور هو الله سبحانه، بل يعم ما إذا كان المنعم الذي يراد شكره إنساناً.

### صور من الشكر العملي

وصور الشكر العملي كثيرة جداً، بل ربما لا يمكن حصرها، ولكن مع ذلك هناك بعض الصور المهمة التي تستدعي أن نخصصها بالذكر مع الحديث عنها بما يتيسر ويناسب المقام:

(١) إظهار النعمة: فإنَّه إذا أنعم الله على عبده أحبَّ أن يرى أثر تلك النعمة عليه<sup>(١)</sup>، كما يُنقل أن سفيان الثوري - المعروف بالتصوف - دخل على الإمام جعفر الصادق عليه السلام فوجده يلبس ملابس بيضاء فاخرة، فقال له: إنَّ هذا اللباس ليس من لباسك. بمعنى أنَّه لا يناسبك، لكون الإمام عليه السلام - على الأقل - هو من رجالات الدين، ورمزاً من رموز المسلمين؛ فينبغي أن يكون لباسه - من وجهة نظر سفيان والخط الذي يتتمي إليه - لباساً متواضعاً، كما كان يلبس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثلاً، فقال له الإمام عليه السلام: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان في زمان مقفر جذب، فأما إذا أقبلت الدنيا فأحقُّ أهلها بها أبرارها لا فجارها، ومؤمنوها لا منافقوها، ومسلموها لا كفارها<sup>(٢)</sup>.

(١) أنظر: القاضي المغربي، محمد بن منصور بن أحمد بن حيون، دعائم الإسلام: ج ٢، ص ١٥٣.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٥، ص ٦٥.

إنَّ هذه الرواية تعكس لنا مشهداً يتكرر في كلِّ زمان، وتجري أحداثه بين إفراط وتفريط، فبينما ترى بعض الناس يتكالب على الدنيا - وينغمس في ملذَّاتها حتى يكون لا همَّ له سوى الحصول على المزيد من مكاسبها، ولو كان ذلك على حساب دينه ومبادئه وقيمه الأخلاقية - تجد بعضاً آخر منهم يضيِّقون على أنفسهم وعلى غيرهم، فيختارون العيش بخشونة، ويزهدون في النعم، ويدعون إلى ترك التمتع بها والاستفادة من عطايا الله التي حلَّ لها لعباده بصريح القرآن حينها قال: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾<sup>(١)</sup>. والدين الإسلامي دين اعتدال ووسطية، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾<sup>(٢)</sup>، وورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أن الصراط المستقيم هو صراطان: أولهما في الدنيا، وثانيهما في الآخرة، والذي في الدنيا هو ما كان بين الغلو والتقصير<sup>(٣)</sup>؛ ومن الواضح فإن التجمُّل وإظهار النعمة هو من تلك الوسطية؛ فالله يُحِبُّ الجمال والتجمُّل، ويكره البؤس والتباؤس، وإذا أنعم على عبده أحبَّ أن يرى عليه أثر تلك النعمة، ويكره أن يخفيها ولا يُظهرها، كما ورد ذلك عن أهل البيت عليهم السلام<sup>(٤)</sup>، بل ورد عنهم عليهم السلام: «إظهار الغنى من الشكر»<sup>(٥)</sup>.

(١) الأعراف: آية ٣٢.

(٢) البقرة: آية ١٤٣.

(٣) أنظر: الصدوق، محمد بن علي بن الحسين، معاني الأخبار: ص ٣٣.

(٤) أنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٦، ص ٤٤٠ و ٤٣٩.

(٥) الأمدي، عبد الواحد بن محمد، غرر الحكم: ص ٢٧٩.

ولا يقتصر الأمر على شكر الله بهذه الطريقة، بل يعم ما إذا شكر بها بعضنا بعضنا الآخر، كما لو اشترى الزوج لزوجته الملابس الجميلة، أو الحلّي الثمينة ونحو ذلك، فإنّ استعملها وتجميلها له بذلك سيكون نحواً من أنحاء تعبيرها عن امتنانها له، وصورة من صور تقديرها لتلك الهدية. وبالعكس من ذلك، إذا ما تعاملت مع الأمر بالإهمال، وتركت تلك الملابس أو الحلّي مكونة بطريقة يقرأ معها الزوج كلمات تعبر عن إهمال زوجته وعدم اكتراثها لمعروفه.

(٢) الحفاظ على النعمة: فحفظ النعمة دليل على تقدير من أنعم بها، كما أنّ عدم الاهتمام والتفريط بها شاهد على عدم التقدير، ومن مصاديق حفظ النعمة وضعها في موضعها الصحيح وبالقدر المناسب: بأن لا يكون هناك تفريط وإتلاف وتبذير بها، ولا أن يكون هناك إسراف ومبالغة في استعمالها أو استهلاكها. إنّ إطلالة سريعة على الإحصائيات التقديرية التي تقدمها الجهات الرسمية المختصة لحجم الهدر الحاصل للغذاء على مستوى العالم تعطينا انطباعاً مأساوياً عن واقع عالمنا المعاصر. فبينما يوجد هناك ما يقارب ٦٩٠ مليون شخص عانوا من الجوع في عام ٢٠١٩م، بحسب تقرير حالة الأمن الغذائي والتغذية في العالم<sup>(١)</sup> تجدد في نفس الوقت نسب الهدر للغذاء في العالم

(١) ويعدُّ تقرير حالة الأمن الغذائي والتغذية في العالم المرجع في تتبع التقدم المحرز في القضاء على الجوع وسوء التغذية، ويتشارك في إعداده كل عام مجموعة من المنظمات الدولية من قبيل منظمة الأغذية والزراعة (الفاو) التابعة للأمم المتحدة، والصندوق الدولي للتنمية الزراعية، ومنظمة اليونسيف، وبرنامج الغذاء العالمي، ومنظمة الصحة العالمية.

كارثية، وبحسب تقارير الأمم المتحدة، فإنَّ متوسط الهدر الغذائي لكلِّ فرد يبلغ ٧٤ كيلو غرام في العام، بل تشير الإحصائيات في المملكة المتحدة إلى أنَّ النفايات الصالحة للأكل تكفي لتوفير ثمان وجبات لكل أسرة كل أسبوع<sup>(١)</sup>.

إنَّ الله تعالى كما يجب أن يُظهر العبد النعم التي وصلته منه سبحانه، فهو لا يجب الإسراف والمسرِّفين كذلك. ولذا قال تعالى: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ خُذُوْا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوْا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوْا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِيْنَ﴾<sup>(٢)</sup>. إنَّ تلك الأرقام المهولة التي نقلنا بعضها ما هي إلا تراكمات لمقادير الهدر للأفراد أو العوائل، وجميعنا في معرض المسؤولية عن ذلك، فينبغي لكلِّ واحد منَّا أن يحرص على



أنظر: موقع أخبار الأمم المتحدة على شبكة الإنترنت برابط:

<https://news.un.org/ar/story/2020/07/1058151>.

(١) ورد ذلك في تقرير للأمم المتحدة نشرته صحيفة الغارديان بحسب نقل موقع الجزيرة على الإنترنت في المقال ذي الرابط:

<https://www.aljazeera.net/news/lifestyle/2021/3/6/%D8%AA%D9%82%D8%B1%D9%8A%D8%B1-%D8%A3%D9%85%D9%85%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D9%84%D9%85-%D9%8A%D9%87%D8%AF%D8%B1-%D9%86%D8%AD%D9%88-%D9%85%D9%84%D9%8A%D8%A7%D8%B1-%D8%B7%D9%86-%D9%85%D9%86>.

(٢) الأعراف: آية ٣١.

أن لا يكون جزءاً من هذا الاستهتار والتفريط بالنعمة، وأن لا يكون من المساهمين في وقوع الظلم المتحقق في حق الجياع الذين تتزايد أعدادهم في أصقاع العالم في نفس الوقت الذي تتضاعف فيه مقادير الغذاء المهذور، بتقنين مصروفاتنا على وفق حاجاتنا الفعلية، وعدم التماذي في الاستهلاك الزائد عن الحاجة، وقد ورد أن الإمام جعفر الصادق عليه السلام رأى فاكهة فائضة لم تؤكل وقد رُميت من بيته؛ فغضب عليه السلام وقال: ما هذا؟! إن كنتم شبعتم فإن كثيراً من الناس لم يشبعوا<sup>(١)</sup>.

وأيضاً لا يقف الأمر هنا عند شكرنا لله سبحانه، بل هو ينطبق ذلك على شكرنا للآخرين من الناس كذلك، فالأب مثلاً يشعر بالارتياح حينما يلتمس من عياله الحرص على ما يوفر لهم من احتياجات، ويفهم من ذلك تقديرهم لجهوده وشكرهم لمساعيه في توفير سبل راحتهم. وهكذا المؤسسات الخدمية مثلاً، حينما تلاحظ اهتمام الناس بما تقدمه، وحرصهم على المحافظة على الممتلكات العامة، كمصابيح إنارة الشوارع، وحاويات النفايات ... فإن القائمين على تلك المؤسسات والعاملين فيها سيشعرون بالارتياح، وسيفهمون أن جهودهم مشكورة، وأن هناك مَنْ يقدر تلك الجهود، وهذا يسهم في تشجيعهم ويدفعهم نحو تقديم المزيد من الجهود والاستمرار في توفير مثل تلك الخدمات. وبالعكس من ذلك، إذا وجد القائمون على مثل

(١) أنظر: القاضي المغربي، محمد بن منصور، دعائم الإسلام: ج ٢، ص ١١٥.

تلك المؤسسات أن الناس المشمولين بخدماتهم لا يهتمون بما يقدم إليهم، أو يستمرون بإتلاف ما يوفر لهم من أعيان؛ فإن ذلك سيؤدي بهم إلى الكف عن تقديم مثل تلك الخدمات مرة أخرى. والأمثلة لذلك كثيرة لا يسع المقام لذكرها.

٣) توظيف النعمة في خدمة الهدف المنشود من إيجادها: عندما يشتري أحدنا حاجة للبيت يشعر بالسعادة حينما يراها ووضعت في موضعها المناسب، ويغمره شعور بالراحة كلما شاهد أهل بيته يستعملونها في مجالها المناسب، وبالعكس من ذلك، إذا ما وجدها معطلة ومركونة وأمارات الإهمال بادية عليها؛ والسر الأساسي الذي يقف وراء ذلك واضح، فإن وضعها في محلها المناسب، واستعمالها من قبل من اشتراها لهم بما يتناسب مع الغاية التي استدعته لاقتنائها يعطيه انطباعاً بأنهم يقدرون ما قدمه لهم، وأن هناك شعوراً بالامتنان له يغمرهم. وهذا في الحقيقة من أساليب الشكر والامتنان الراقية، والتي يمكن لمن يجيد فنون الشكر أن يتوسّع فيه، فيجعل احترام الزوجة وإكرامها - مثلاً - تعبيراً عن امتنانه لأهلها، والإخلاص في عمله شكراً لمن ائتمنه على العمل، كما يمكن للابن أن يردّ جميل أهله بحسن تربيتهم إياه بأن يكون حسن السيرة مطيعاً لهم، وأن يجعل تفوقه في دراسته شكراً منه لهم على اعتنائهم به، وتوفيرهم لمستلزمات الاستمرار بالدراسة من أمور مادية ومعنوية. وأيضاً لكل شخص أن يجعل وفاءه لبلده والاجتهاد في خدمته مظهراً لشكره على ما وهبه إياه من عطايا جلييلة من أمان ووظيفة وخدمات

وغير ذلك، فيوظف تلك العطايا التي منحها بلده له في سبيل خدمته والمساهمة في الحفاظ عليه ككيان جامع لمجتمعه ككل، وضامن لحقوقه كفرد. وهكذا يمكن قياس أمثلة أخرى كثيرة على ما ذكرنا. وقد ورد في هذا المجال: «شكرُ العالمِ على علمه عمَلُهُ به، وبذلُهُ مُستحقُّهُ»<sup>(١)</sup>.

ولعل أهم الأمثلة في هذا المجال هو صرف العمر الثمين الذي لا يقدر بثمن في طاعة الله ﷻ، وتوظيفه في سبيل الهدف من خلق الإنسان، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْإِنْسَانَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾<sup>(٢)</sup>، فالقصد من العبادة كل عمل يرضي الله<sup>(٣)</sup>، بمعنى أنه ينطبق على كل طاعة بالمعنى الأعم، ولا يقتصر على العبادات الخاصة، كالصلاة والصوم والحج ونحوها، وإنما يشمل المساهمة في تكوين أسرة صالحة، وحسن تربية الأولاد، ونشر القيم الأخلاقية في المجتمع، ومساعدة الآخرين مادياً ومعنوياً، والإسهام في تطوير واقع البلد من جميع النواحي التي تدخل في حيز الخير والصالح ونحو ذلك، كلُّ بحسبه؛ فالطبيب - مثلاً - وهب ذكاءً وأعطى ملكةً خاصة خصَّه الله بها من بين كثيرين غيره، وهيات له ظروف ربما لم تهباً لمن هو أذكى منه، وهذا يستوجب الشكر للواهب وهو الله سبحانه، ومن أرقى طرق شكره تسخير تلك الوظيفة في خدمة مجتمعه، ومساعدة من يحتاج للمساعدة منهم، ونحو ذلك.

(١) الأمدى، عبد الواحد بن محمد، غرر الحكم: ص ٤٤.

(٢) الذاريات: آية ٥٦.

(٣) مغنية، محمد جواد، تفسير الكاشف: ج ٦، ص ١٧٣.

٤) بذل النعمة: ويعتد الإنفاق والبذل للنعم من أفضل طرق الشكر العملي لها، وفي هذا المجال ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «أحسنُ شكرِ النِّعمِ الإنعامُ بها»<sup>(١)</sup>. وقد يحضر في البال بعض الخواطر التي تساهم في الامتناع عن البذل من قبيل: أن الإنفاق يؤدي إلى نقصان النعمة، وهذا في الحقيقة من البخل، ويتضمن سوء الظن بالله عز وجل، خصوصاً وأنه سبحانه وعدَّ بالزيادة إذا شكره العبد فقال: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>، وقد عرفت أن الإنفاق هو من الشكر، فكلمًا أنفق العبد كان شاكرًا لله على ما أنعم به، وكلما كان شاكرًا شمله الوعد الإلهي بالزيادة.

ولا يقتصر الأمر من هذه الناحية على البذل في الأمور المادية، بل يشمل النعم على جميع الأصعدة؛ ولهذا ورد في الحديث المتقدم أنفاً: أن شكر العالم على ما وهبه الله من علم وخصه به هو أن يعمل به ويبدله لمن يستحقه<sup>(٣)</sup>.

٥) رد الجميل بمثله: ومن الصور المهمة للشكر العملي ردُّ الجميل بالجميل، فإنه تعبير راقٍ عن امتنان الشخص، وأسلوب نبيل لإبداء الشكر والتقدير للمعروف الذي ناله من صاحب الإحسان، ومما زاد في أهمية هذا الأسلوب هو اشتماله على جنبه توجيهية وإرشادية، فيضاف إلى كونه من

(١) الأمدي، عبد الواحد بن محمد، غرر الحكم: ص ٢٧٩.

(٢) إبراهيم: آية ٧.

(٣) أنظر: الكراجكي، أبو الفتح، كنز الفوائد: ج ٢، ص ١٠٨.

الأساليب الراقية في نفسها؛ فهو يؤدي إلى تشجيع المحسن على الاستمرار في الإحسان وتقديم المعروف، وبالعكس تماماً يؤدي الإهمال أو مقابلة الإحسان بالإساءة، وقد ورد في روايات أهل البيت عليهم السلام: «أن الذين يصنعون ذلك فيقابلون الإحسان بالإساءة مما يؤدي إلى أن يمتنع صاحب الإحسان عن أن يحسن إلى غيرهم هم قاطعوا سبيل المعروف»<sup>(١)</sup>.

ومن الأمثلة المهمة لموارد أسلوب رد الجميل بمثله إيفاء الدين في وقته، وعدم المماطلة أو الإنكار، ومنه الإحسان للزوجة وإكرامها ومعاشرتها بإحسان رداً لجميل أهلها وحسن ظنهم بالرجل، ومنها الالتزام بمقتضى الكفالة التي يقدمها الكفيل، كما لو كفل شخص آخر لدى مؤسسة من المؤسسات الحكومية مثلاً، فيتعين على المكفول أن يلتزم بمقتضى الكفالة، وأن لا يُعرض الكفيل للخرج أو الضرر من هذه الناحية.

٦) الإتيان بالطاعات بداعي شكر الله: ومن صور الشكر العملي الإتيان بالأعمال الصالحة واجتناب المحرمات بداعي شكر الله سبحانه وتعالى، وهذا مختص بشكر الله تعالى كما هو واضح. وفي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «شكرُ النعمةِ اجتنابُ المحارمِ»<sup>(٢)</sup>. وقد فسر الحديث شكر النعمة باجتنب المحارم، فيفهم منه أن اجتناب الحرام هو الوجه الآخر للشكر، بل هو الوجه

(١) أنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٤، ص ٣٣.

(٢) المصدر السابق: ج ٢، ص ٩٥.

الوحيد له، كما لو قيل مثلاً: الدين عند الله هو الإسلام. فمعناه أنه ليس هناك دين آخر ثابت عند الله غير الإسلام، فالدين هو الإسلام، والإسلام هو الدين، فهما وجهان لعملة واحدة. وهكذا في المقام يكون المعنى: أن الشكر هو اجتناب المحارم فقط، فالشكر اجتناب المحارم، واجتناب المحارم هو الشكر، وطبيعي فإن المقصود هنا المبالغة في أهمية اجتناب المحارم، ولعل تلك الأهمية نابعة من كون اجتناب المحارم هو الحد الأدنى الذي ينبغي أن يلتزم به العبد في مقام شكر المنعم؛ ولهذا تجدنا قد نتغافل عن كثير من الأمور التي يواجهنا بها مَنْ نصنع له معروفاً بالرغم من كونها لا تعجبنا، كما لو لم يشكرنا بلسانه، ولكننا لا نتغافل عما لو واجه معروفاً بارتكاب ما نكرهه كما لو أعطيناه مالا فاستعمله في تشويه سمعتنا مثلاً، وهكذا الأمر مع الله سبحانه وتعالى، فجميع ما نمتلكه من نعم منظورة وغير منظورة هي منه، فما أقبح أن نستعمل تلك النعم التي حوّلنا الله بها في ما يكرهه، بدلاً من أن نشكره عليها! وإنما قلنا: إنَّ اجتناب المحرمات هو يمثل المرتبة الدنيا للشكر؛ لأنه يكون فوقها مرتبة استعمال النعم - والتي تشمل مثل مدّ العمر واستمرار الحياة وبقاء العافية والثبات على الحق وسبيل الهداية والرشاد - في الفرائض التي أوجبها علينا المنعم، بأن يؤتى بالصلاة والصوم والحج ونحو ذلك من الواجبات بداعي الشكر لله، وفوق هذه المرتبة استعمالها في المستحبات والأمور الراجحة دينياً أو دنيوياً، بإعانة الضعيف، ومساعدة الفقير، والإخلاص في العمل ونحو ذلك، كله يدخل في العبادة بالمعنى الأعم ما دام

١٣٢ ..... الشكرُ حصنُ النعم

يُقصد به وجه الله، ومن هذا ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه»<sup>(١)</sup>؛ فإنَّ ذلك كله من الطاعات بداعي الشكر للنعم، ولا سيما إذا كان مع الالتفات التفصيلي والواضح بأن يكون الشخص ملتفتاً في كل طاعة أو فعل أو ترك من هذا القبيل إلى معنى الشكر، وأن هذا الالتفات هو الذي يحركه فعلاً نحو الطاعة، كما يحرك العطش العطشان نحو شرب الماء. وقد ورد في الحديث: أن الله تعالى أوحى لموسى عليه السلام: أن حبيني إلى خلقي. فقال له موسى: كيف أحبيك إلى خلقك؟ فأتاه الجواب: بأن ذكرهم بنعمائي عليهم<sup>(٢)</sup>.

وهذا نمط رفيع جداً من أنماط العبادة، وهو الذي يُطلق عليه أمير المؤمنين عليه السلام اسم عبادة الأحرار حيث قال: «إنَّ قوماً عبدوا الله سبحانه رغبةً فتلك عبادة التجار، وقوماً عبدوه رهبةً فتلك عبادة العبيد، وقوماً عبدوه شكراً فتلك عبادة الأحرار»<sup>(٣)</sup>.

ومن الطبيعي فإن ذلك لا يحصل بسهولة أو يكون وليد الصدفة، وإنَّها هو نتاج حالة معنوية وملكة نفسانية تحصل في الشخص عبر تراكمات من التأمل في نعم الله، واستحضار أفضاله علينا، وتحسس رعايته لنا في شؤوننا

---

(١) نهج البلاغة: ص ٤٧٠.

(٢) أنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي: ص ٤٨٤.

(٣) الليثي الواسطي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ: ص ١٥٨.

جميعاً، كبيرها وصغيرها، وفي الأمور المهمة، وتلك التي نراها في نظرنا غير مهمة، حتى يسود عندنا الشعور بالامتنان لله في جميع أحوالنا، ونكون شاكرين لله حتى عند حصول المكاره، فضلاً عنه حالة حصول ما نحبه ونسُرُّ به، فإننا لو أجَلْنَا فكرنا وتأمَلْنَا في جميع ما حصل لنا في حياتنا - من أمور وأحداث دنيوية - لوجدنا في أكثر الأحيان أنَّ كلَّ جزئية في حياتنا هي كانت لصالحنا وفي المحصلة النهائية تكون فيها فائدة ترجع إلينا، مما يجعل لدينا اطمئناناً بأنَّه حتى القضايا والأحداث التي تخفى علينا أبعادها ولم يتضح لنا وجه فائدتها لنا فإنَّها في الواقع لصالحنا في محصلتها النهائية، مما يعزِّز قناعتنا بلزوم شكر الله على المكروه كشكرنا على المحبوب. وفي القرآن الكريم الكثير من القصص أو الآيات التي تدخل في هذا النطاق، كقصة النبي يوسف عليه السلام الذي لاقى ما لاقاه من ظلم إخوته له، ومحاولتهم قتله ومن ثمَّ إلقاءهم إياه في البئر، وما جرى عليه الأمر من بيعه عبداً وغير ذلك مما أخبرنا به القرآن الكريم، حتى آلت الأمور إلى أن صار ملكاً من ملوك مصر، وأصبح سبباً لهداية أهلها وإنقاذهم من الضلال بعد إسعافهم وإنقاذهم من الجوع الذي مرَّ بهم في سنوات القحط التي حلَّت بهم؛ ولهذا فعلينا أن لا نكون عجولين في تعاملنا مع ظواهر الأمور، ليدبَّ فينا السخط، ويسيطر علينا عدم الرضا بقضاء الله سبحانه، وليكن حاضراً أمام أعيننا قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ

١٣٤ ..... الشكرُ حصنُ النعم

فإنَّكَ بِأَعْيُنِنَا... ﴿١﴾، فإذا كان الذي يقدرُ لنا مقاديرنا هو الذي لا يخفى عليه شيء من أمورنا، وهو بنا أرحم من الوالدة المشفقة على ولدها - كما ورد في الحديث الشريف (٢) - فلا داعي للقلق وينبغي الثقة بالله سبحانه والاطمئنان بأن كل ما يُجرىه فينا هو خير لنا، ويستوجب علينا شكره.

وقد تقدم عند الكلام عن الشكر القلبي أنه يصدق عليه - بما هو شكر قلبي - عنوان العبادة، فهو بنفسه وبها هو حالة تفكر واستحضار لنعم الله مع نسبتها إليه تعالى يُعدُّ صورة من صور العبادة، سواء استتبع ذلك عملاً من قبل الشاكر أم لا، بينما هنا ما نريد أن نقوله هو أن تلك الحالة القلبية قد تكون سبباً وداعياً للإتيان بالطاعات، فيؤتى بها تعبيراً عن شكر الله على أنعمه العظيمة التي لا تزال تنالنا بشكل مستمر ومتواصل. وهذا الاعتبار كانت هذه الصورة داخلة في الشكر العملي؛ باعتبار أنَّها تتحقق بإيجاد الأفعال بداعي الشكر.

---

(١) الطور: آية ٤٨.

(٢) أنظر: ابن فثال النيسابوري، محمد، روضة الواعظين: ص ٥٠٣.

## الفصل الرابع

### ثمرات الشكر وفوائده



## الفصل الرابع : ثمرات الشكر وفوائده

لا شك في أن للشكر ثمرات وفوائد مهمة ومؤثرة على الصعيدين الفردي والمجتمعي، وقد اتضح أكثرها من خلال ما تقدم، ولكن لا بأس بتنظيم صياغتها وترتيبها وعرضها بشكل مختصر مع إضافة ما فات ذكره منها فيما سبق.

وحيث إنَّ تلك الثمرات بعضها يكون دنيوياً ومتحققاً - سواء للفرد أم للمجتمع ككل - في حياتنا الدنيا، وبعضها الآخر يكون أخروياً وحاصلاً في عالم الآخرة، فسيكون الحديث هنا في مبحثين: أحدهما في ثمرات الشكر وفوائده الدنيوية، وثانيهما في ثمراته وفوائده الأخروية.

وقبل الدخول في صلب الكلام ينبغي الالتفات إلى أنَّ الشكر تارةً يكون متوجَّهاً إلى الخالق والمنعم الأول، وأخرى إلى المحسنين من الناس، وهذا ما أوضحناه بما يكفي سابقاً، ولكن ما نريد إلفات النظر إليه هنا هو أنَّنا لن نسلِّط الضوء على هذه الجنبه عند حديثنا عن الثمرات المترتبة على الشكر، سواء الدنيوية منها أم الأخروية، وإنَّ كنت ستجد الإشارات الضمنية إلى ذلك في بعض الأحيان.

وقد يخطر في بال القارئ الكريم أنَّ الثمرات إذا كانت تترتب في الآخرة

١٣٨ ..... الشكرُ حصنُ النعم

فهي تدخل في مورد شكر الله، بينما إذا كانت مترتبة في الدنيا فهي تدرج في موارد شكر الناس، ولكن هذا التصور ليس بصحيح، فقد يكون الشكر للناس ومع ذلك يكون له أجر وثواب في الآخرة خصوصاً، وقد ورد في الحديث الشريف: «مَنْ لَمْ يَشْكُرِ الْمَنْعَمَ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ»<sup>(١)</sup>، و«أَشْكُرُكُمْ لِلنَّاسِ أَشْكُرُكُمْ لِلَّهِ»<sup>(٢)</sup>، فإذا قصد الشاكر بشكره للمنعَم من المخلوقين وجه الله سبحانه والقرب منه تعالى، فكيف لا يحصل على الثواب الآخروي؟!

وعلى أية حال فسوف نتحدث - وباختصار شديد كما ذكرنا - عن فوائد

الشكر تحت عنوانين، وهما:

### أولاً: ثمرات الشكر الدنيوية

(١) حفظ النعم: وهذا نتيجة طبيعية إذا ما تذكّرنا ما بيّناه سابقاً من أنّ حفظ النعمة يمثل أسلوباً من أساليب الشكر، بل يمكن عدّه مرتبة ضرورية يمر بها الشكر في جميع صورته وأساليبه؛ فإنّك إذا لم تسع إلى حفظ النعمة وفرطت بها لن يُسعفك أن توجه شكرك إلى المنعم بها بالقول مثلاً، كما لو أهدى لك شخص هدية فتقول له: شكراً لك. ثم تُتلفها أمام عينيه مثلاً، فهو آنذاك لا يرى قيمة لما نظقت به من لفظ الشكر، بل سيفهم أنّك لم تهتم لفعله

(١) الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢، ص ٢٤.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٩٩.

ولم تقدر شخصه. وهكذا الأمر في جميع الأمثلة والموارد التي تستوجب الشكر. هذا على مستوى ظواهر الأمور والحسابات المادية.

وأما إذا أعطينا القضية بُعداً غيبياً ونظرنا إلى ما وراء ذلك فنحن نعلم أن هناك ترابطاً وتلازماً خفياً بين بعض الأمور، فكما أننا ندرك أن من يتوقف قلبه يموت لا محالة، وأن من يلقي بشيء من أعلى البناء فإنه سيهوي ويسقط إلى الأرض، فكذلك نعلم من النصوص الشرعية أن برَّ الرجل بأبيه يؤدي إلى برِّ ابنه به<sup>(١)</sup>، وأن صلة الرحم تنتج سعة الرزق وطول العمر<sup>(٢)</sup> مثلاً. وهكذا ورد في هذا المجال ما دلنا على أن شكر النعمة - وبأي أسلوب من أساليب الشكر المتقدمة - يوجب حفظها، فقد ورد في جملة وصايا أمير المؤمنين عليه السلام ما نصه: «صَيِّرَ الدِّينَ حُصْنَ دَوْلَتِكَ، وَالشُّكْرَ حِرْزَ نِعْمَتِكَ، فَكُلُّ دَوْلَةٍ يَحْوِطُهَا الدِّينُ لَا تُغْلَبُ، وَكُلُّ نِعْمَةٍ يَحْرِزُهَا الشُّكْرُ لَا تُسَلَبُ»<sup>(٣)</sup>.

(٢) زيادة النعم: قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾<sup>(٤)</sup>. ومن ناحية المعنى في هذه الآية هناك شرط ووعد مترتب عليه. أما الشرط فهو شكرنا للنعم، وأما الوعد فهو أن يزيدنا الله من نعمه.

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٥، ص ٥٥٤.

(٢) المصدر السابق: ج ٢، ص ١٥٢.

(٣) التميمي الأمدي، عبد الواحد بن محمد، غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٤٣.

(٤) إبراهيم: آية ٧.

١٤٠ ..... الشكرُ حصنُ النعم

ونلاحظ أنَّ الله - الصادقُ أبداً والقادرُ على كلِّ شيءٍ مطلقاً - قد أدخل على عبارة (لأزيدنكم) الدالة على وعده اثنين من المؤكِّدات اللفظية، وهما اللام في بدايتها ونون التوكيد في آخرها، وكأنَّه صنع ذلك إشعاراً بحتمية تحقق الوعد بالزيادة عند تحقيقنا الشرط بشكرنا للنعم.

وورد في الحديث: «إِنَّ مَنْ عَرَفَ نِعْمَةَ اللَّهِ بِقَلْبِهِ اسْتَوْجَبَ الْمَزِيدَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَبْلَ أَنْ يُظْهَرَ شُكْرُهَا عَلَى لِسَانِهِ»<sup>(١)</sup>.

٣) دفع البلاء: قال تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾<sup>(٢)</sup>، فقرن الشكر بالإيمان وجعل عاقبتها النجاة من العذاب. والعذاب هنا يشمل الأخرى والديوي، ولو بقرينة الآيات الأخرى مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾<sup>(٣)</sup> نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ<sup>(٣)</sup>.

٤) تحقيق النجاح: فالشكر - كما عرفت في طي المباحث السابقة - أسلوب حياة وليس مجرد ردِّ فعلٍ آنيٍّ. وهو ثقافة ومنهج يحدد وجهة الفرد أو المجتمع في سيره ووجهته في الحياة، فإذا كان هذا المنهج يتضمَّن الشعور بالرضا بالواقع وما يستتبعه من طمأنينة واستقرار نفسي، والتقدير لكلِّ ما

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٨، ص ١٢٨.

(٢) النساء: آية ١٤٧.

(٣) القمر: آية ٣٤ - ٣٥.

نتعاش معه من بشر وغيره وتقدير ذلك واعتباره مكسباً لنا، فلا ريب في أن ذلك سيستتبعه تقدير واحترام من الآخرين، واستثمار لكل ما نحصل عليه من نعم بعد المحافظة على تلك النعم، وهذا كله من المقدمات التي تُنتج نجاحاً وفلاحاً في مسيرة الفرد والمجتمع. قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُواْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>(١)</sup>، وقال سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَذَا لَآءٌ مِّنْ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مَنٌ بَيْنَنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، فربط منته عليهم بكونهم شاكرين.

٥) يورث محبة الناس: وهذا أمر وجداني واضح؛ فإنَّ الإنسان الذي يحمل ثقافة الشكر ويمارس أساليبه بلا شك يكون محبوباً من قبل الآخرين ومحترماً عندهم، فكما أنَّ القلوب قد جُبلت على محبة مَنْ يُحسن إليها فكذلك هي مفضولة على محبة مَنْ يقدر ويشكر.

٦) التشجيع على استمرار الناس في فعل الخير والاستزادة في ذلك: وهذه الثمرة أيضاً وجدانية وواضحة؛ فإنَّ الإنسان إذا وجد فعله موضع تقدير وثناء فهو سيستمر في تقديم المعروف وفعل الخير، وسيسعى للاستزادة في ذلك كما هو واضح؛ ولهذا عُدَّ في بعض الروايات مَنْ لا يشكر المعروف ويقابله بالإساءة بقاطع طريق المعروف<sup>(٣)</sup>.

(١) الأعراف: آية ٦٩.

(٢) الأنعام: آية ٥٣.

(٣) أنظر: الصدوق، محمد بن علي بن الحسين، مَنْ لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٥٧.

٧) اكتساب طاقة إيجابية عظيمة: يُعدُّ الشكر والامتنان - بما هو ملكة نفسانية تترسخ في النفس عبر تهذيبها وتدريبها وتكرار ممارسة أساليب الشكر - من أهمِّ الجوانب الإيجابية التي تتواجد في نفس الإنسان؛ ولذلك تجد كثيراً من الباحثين في هذا المجال في وقتنا الحاضر قد اهتموا بهذا الجانب، وركَّزوا عليه توصيفاً وتحليلاً، وإرشاداً وتوجيهاً، ولا يكلفك التأكد من ذلك سوى التوجه إلى الشبكة العنكبوتية - الإنترنت - وإدراج مفردة الامتنان في آلة البحث الإلكترونية لشاهد حجم ما كُتب في هذا المجال من كتب ومقالات.

ويمكننا القول: إنَّ الامتنان يعني النظر إلى الحياة بإيجابية بكل تفاصيلها، فهو يعني التركيز على الجوانب الإيجابية في الحياة، أو بتعبير آخر هو يعني التفتيش عن الجانب الإيجابي في الحياة، فإذا كان هو يشتمل على الرضا والقناعة والتعامل مع الواقع بإيجابية فلكَ أن تتخيل مقدار الطاقة الإيجابية التي سيهبها للشخص المتصف به. فلا غرابة إذا وجدنا بعض المختصين بمجال التنمية البشرية يصفه بأنَّه يعدُّ من أكثر القوى الجاذبة في الكون<sup>(١)</sup>.

وهذا المعنى تؤكدُه النصوص الشرعية، فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه قال: «إنَّ أهنأ الناس عيشاً مَنْ كان بما قَسَمَ اللهُ له راضياً»<sup>(٢)</sup>، وفي حديث

---

(١) أنظر: لويز هاي، الامتنان أسلوب حياة: ص ١٥٥.

(٢) التميمي الأمدي، عبد الواحد بن محمد، غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٩٣.

الفصل الرابع: ثمرات الشكر وفوائده ..... ١٤٣

آخر قال: «أشكرُ الناسِ أفنعمهم»<sup>(١)</sup>، وبضم هذا إلى ذاك نتحصّل على نتيجة حاصلها: إنّ أهناً الناس عيشاً هو مَنْ كان شاكراً للنعمة.

٨) إعطاء صورة إيجابية عن الفرد أو المجتمع: وهذه الثمرة واضحة كذلك، فالشخص الذي يمارس الشكر قولاً أو فعلاً ستعكس عنه - لدى الآخرين - صورة جيدة تحكي عن مستوى ثقافيّ راقٍ، وهكذا المجتمع الذي تشيع فيه ثقافة الشكر والتقدير المتبادل كما هو واضح.

### ثانياً: ثمرات الشكر في الآخرة

١) تحقّق معرفة الله: فقد ذكروا في علم الكلام أنّ أهم دافع لمعرفة الخالق هو قضية شكر المنعم التي هي من مدركات العقل، فهناك دافع فطري يشترك به الجميع نحو شكر مَنْ يهب النعم، وحيث لا يكون الشكر ملبياً لهذا النداء الفطري إلا إذا كان متناسباً مع حال المشكور، وإلا لما عدّ شكراً بل قد يُفهم أنّه إهانة واستخفافاً<sup>(٢)</sup>، فكان ذلك دافعاً نحو التعرف على المنعم الأعظم، وهو الخالق الواهب لكلّ شيء. ولا تخفى أهمية هذه المعرفة في الدين - بل وفي حياة الإنسان ومسيرته في هذا الوجود - وما لها من دور أساسي وبالصميم في تحديد بنية شخصيته وتشخيص آرائه وتبلور توجهاته، وكما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «أوّل الدّين معرفته»<sup>(٣)</sup>.

(١) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ١، ص ٣٠٤.

(٢) أنظر: العاملي، حسن مكّي، بداية المعرفة: ص ٥٩.

(٣) نهج البلاغة: ص ٣٩.

(٢) الشكر نصف الإيمان: وقد تحدثنا في ذلك وبيننا المقصود من كونه نصف الإيمان - كما ورد في الحديث الشريف<sup>(١)</sup> - بما فيه الكفاية<sup>(٢)</sup>. ولكن نلفت النظر هنا إلى أنَّ أهمية هذه الفائدة للشكر تُستقى من أهمية الدين والإيمان به بالنسبة للإنسان في حياته الدنيا وفي الآخرة على حدٍّ سواء. نعم حيث إنَّ المهم هو حياته الآخرة، بل هي الحياة الحقيقية لدرجة جعلت أهمية الدين وتأثيره على الإنسان في حياته الدنيا نابعة من مدى تأثير ذلك على مصيره في الحياة الأخرى، وإلا فالدنيا لهو ولعب: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوةُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٣)</sup>. ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾<sup>(٤)</sup>، حيث قرَنَ طَلَبَ شكره تعالى بطلبِ ذكره؛ إذاناً بأهمية الشكر، وإشعاراً بعدم كفاية الذكر وحده من دون أن يُضمَّ إليه الشكر.

(٣) القرب من الله تعالى: فقد عرفت أنَّ الشكر من العبادة بل هو أرقى أنواع العبادة، والعبادة تقرب من المعبود. ولأجل هذا حينما سأل موسى ﷺ الله سبحانه وتعالى عن الكيفية التي يتمكن بها من أن يحبَّه تعالى إلى الناس

(١) وهو قوله ﷺ: «الإيمان نصفان: نصفٌ صبرٌ، ونصفٌ شكرٌ». أنظر: الطبرسي، الفضل بن

الحسن، مجمع البيان: ج ٨، ص ٩٤.

(٢) في الفصل الثالث - تحت عنوان (الشكر القلبي نصف الإيمان).

(٣) العنكبوت: آية ٦٤.

(٤) البقرة: آية ١٥٢.

جاءه الجواب: «أذكر لهم نعمائي عليهم»<sup>(١)</sup>، ومن الطبيعي أن المقصود هو تذكيرهم بإنعامه تعالى عليهم ليشكروه، وبالتالي يترتب على شكرهم محبته عندهم وقربهم منه عز وجل، وإلا فلو لم يشكروا لأدّى ذلك إلى العكس، كما في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾<sup>(٢)</sup>.  
وكما في قوله تعالى: ﴿بَلِ اللّٰهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشّٰكِرِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، فأمر نبيه صلى الله عليه وآله - أدباً له صلى الله عليه وآله وتهديداً لأمته<sup>(٤)</sup> - بالإخلاص بعبادته لله وعدم الشرك؛ فإن تقديم لفظ الجلالة على الفعل ﴿فَاعْبُدْ﴾ يدل على الحصر، وجعل عدل ذلك قوله: ﴿وَكُنْ مِنَ الشّٰكِرِينَ﴾؛ لأنّ الشكر على النعم سلّم يؤدي إلى معرفته تعالى وبالتالي إلى الإخلاص في عبادته وعدم الشرك، فخطُّ الشكر يؤدي إلى خط التوحيد<sup>(٥)</sup>.

٤) الحصول على رضا الله: قال تعالى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللّٰهَ عَنِّي وَعَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾<sup>(٦)</sup>. ورضا الله هو غاية الغايات، قال تعالى في جزاء المؤمنين يوم القيامة: ﴿وَعَدَ اللّٰهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ

(١) أنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي: ص ٤٨٤.

(٢) إبراهيم: آية ٧.

(٣) الزمر: آية ٦٥ - ٦٦.

(٤) أنظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن: ج ٨، ص ٤١٢.

(٥) أنظر: الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج ١٥، ص ١٤٣.

(٦) الزمر: آية ٧.

١٤٦ ..... الشكرُ حصنُ النعم

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ  
مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١﴾.

٥) الحصول على الأجر الأخروي: قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا  
نُؤْتِيهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِيهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، وبعد  
معرفةنا بصدق الطاعة على شكر الله وشكر الناس - على حدٍّ سواء - كان  
واضحاً ثبوت الثواب والجزاء الأخروي له.

---

(١) التوبة: آية ٧٢.

(٢) آل عمران: آية ١٤٥.

## الفصل الخامس

### كفران النعمة وتداعياته



## الفصل الخامس : كفران النعمة وتداعياته

هناك بعض المفاهيم التي مهما تحدّثت عنها تشعر أنّ هناك حاجة لبيان إضافي؛ لاستيعاب جميع الجوانب المهمة فيها، ورفع الغموض عنها، أو لتسليط الضوء أكثر على زواياها المختلفة وعن بعض ما يتعلق بذلك المفهوم. وتتأكد هذه الظاهرة في تلك المفاهيم التي لها أصداد واضحة كالعدل والظلم، والصدق والكذب، والتوحيد والشرك، وحسن الخلق وسوء الخلق مثلاً. فإنّك إذا تناولت أحد تلك المفاهيم فسيطاردك ذلك الشعور ما دمت لم تتناول ضده بالبيان، فالحديث عن العدل مثلاً يجرّ إلى الحديث عن الظلم، والكلام عن الصدق لا يكون تاماً من دون التعرض للكذب ومصاديقه وأسبابه وآثاره ونحو ذلك.

والشكر - الذي هو محل كلامنا هنا في هذا الكتاب - هو من هذا النوع من المفاهيم؛ فلكي يتم لنا ما نريد بيانه حول هذا المفهوم لا بدّ من التعرض - بشيء من البيان المناسب - لضده، أعني: كفران النعمة؛ وهذا ما سيكون مخصّصاً له هذا الفصل، فنقول:

الكُفْرُ فِي الْأَصْلِ السُّتْرُ وَالتَّغْطِيَةُ<sup>(١)</sup>، فإذا أُضيف إلى النعمة وقيل: كفران

---

(١) ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة: ج ٥، ص ١٩١.

١٥٠ ..... الشكرُ حصنُ النعم

النعمة<sup>(١)</sup> كان ذلك باعتبار أنَّ الذي يكفر بالنعمة يسعى لتغطيتها وستر قيمتها<sup>(٢)</sup>، أو ذلك باعتبار أنَّ أحد معاني الكفر هو الجحود، فيكون المعنى: جحود النعمة، أي: إنكارها<sup>(٣)</sup>. وهو - أي: الإنكار - نوع من أنواع الستر والتغطية.

وعلى أية حال، فكأنَّ معنى كفران النعمة في الجملة واضح لدى الجميع، وهكذا بعض مظاهره يدركها الجميع بسهولة، ولكن تبقى هناك حاجة إلى تسليط الضوء على بعض مظاهرها إمَّا لعدم وضوحها عند البعض أو لأهميتها. كما أن هناك حاجة للكلام حول الآثار المترتبة على كفران النعمة. فيقع الكلام إذن في مبحثين:

١- بعض مظاهر كفران النعمة.

٢- عواقب كفران النعمة والآثار المترتبة عليه.

### المبحث الأول: بعض مظاهر كفران النعمة

ورد عن الإمام الحسن عليه السلام أنه قال: «النعمةُ محنةٌ، فإنَّ شُكِرَتْ كانتَ كنزاً، وإنَّ كُفِرَتْ صارتْ نقمةً»<sup>(٤)</sup>، فالإنسان يُمتحن بكل نعمة يكتسبها، فإنَّ

---

(١) وفي الحديث عن أهل البيت عليهم السلام أنَّ للكفر خمسة أنواع أحدها كفران النعمة. أنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٣٨٩.

(٢) أنظر: الشيرازي، ناصر مكارم، الأخلاق في القرآن: ج ٣، ص ٥٣.

(٣) أنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ٥، ص ١٤٤.

(٤) ابن الحلواني، الحسين بن محمد بن الحسن، نزهة الناظر وتبئيه الخاطر: ص ٧٢.

شكرها بأن أعطائها حقها من الحفظ والتقدير واستعملها في مواردنا الصحيحة كانت له غنيمَةً ودُخْرًا، وإن فرط بها وضعيها أو استعملها في غير مواردنا الصحيح - كما لو استعان بها على ارتكاب المظالم أو المحرمات مثلاً - انقلبت عليه نقمة.

فبناءً على توسعة مفهوم الشكر بحيث يشمل حتى حالة حفظ النعمة وتقديرها، وإن لم يكن هناك شكر قولي مثلاً فلا نكون إلا شاكرين للنعم أو كافرين لها، وليس هناك مرتبة بين الحالتين، فأدنى مراتب شكر النعمة تتمثل بحفظها، ويقابلها أدنى مراتب كفران النعمة وتتمثل بالتفريط بها وعدم المحافظة عليها.

وكما أن موارد الشكر ومظاهره كثيرة جداً ولا يمكن استقصاؤها، فكذلك موارد كفران النعمة ومظاهره، ولكننا هنا سنسلط الضوء على بعض المظاهر المهمة لذلك:

### ١. عدم المحافظة على النعم

هناك آيات عديدة في كتاب الله عز وجل جاءت في سياق ذكر ما هيأ الله لنا من النعم والامتنان بها علينا من قبيل قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ (٢٤) **أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا** (٢٥) **ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا** (٢٦) **فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا** (٢٧) **وَعَبْنَا وَقَصَبًا** (٢٨) **وَزَيْنُونَا** (٢٩) **وَنَخْلًا** (٣٠) **وَحَدَائِقَ غُلْبًا** (٣٠) **وَفِكَهَةً وَأَبًا** (٣١) **مَنْعًا لَكُمْ وَلِأَنْعِمَكُمُ** (١)، وقال عز من

قائل: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ لَيْلًا لِيَأْسَوا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ۗ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ۗ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَأُنَاسِيًا كَثِيرًا ۗ ﴿٤٧﴾<sup>(١)</sup>، وغير ذلك مما يقصد به إلفات النظر إلى هذه النعم والتأكيد على أهميتها لكي ندرك ضرورة الاهتمام بها والمحافظة عليها.

والملفت في هذه الآيات ونظائرها تأكيدها على حقيقة مهمة، وهي أن الإنسان قد أُعطي أهمية قصوى من بين المخلوقات، فتجده محور الاهتمام فيها، بحيث سخر له الخالق جميع المخلوقات المنظورة أو المحسوسة، سواء كانت من المأكل أم المشرب أم الملبس أم المركب، بل حتى الأمور الكونية الكبرى، كجعل الليل ليكون وقت راحته، والنهار ليكون وقت حركته وسعيه، وإرسال الرياح، وإنزال الغيث، ونحو ذلك.

وهذا في الحقيقة يجعل على عاتق الإنسان مسؤولية عظيمة تجاه ذلك تحتم عليه أن لا يتغافل عنها. فليس من المقبول أن يقابل هذا الاهتمام المتزايد وتلك العناية الخاصة بالتجاهل أو التجاسر والجحود، والتفريط بتلك المواهب التي خصنا الخالق بها.

ومن أكثر مظاهر عدم احترام النعمة والتفريط بها انتشاراً الإسراف بالطعام والملابس والأثاث ونحو ذلك، فأصبح مألوفاً أن يوضع في المائدة

طعامٌ يفوق حاجة الآكلين أضعافاً بحيث يكون مألّ أكثره أو كثير منه في مكبّ النفايات، بل يرى بعضُ الناس أنّ ذلك من مقتضيات الكرم ومناسبات الشرف والوجاهة، بينما نجد سيرة أهل البيت عليهم السلام على العكس من ذلك، حتّى أنّهم كانوا يؤكّدون على التقاط ما يسقط من الطعام وتناوله؛ كي لا يكون مصيره التلف والإلقاء في القمامة<sup>(١)</sup>، وكمثال لذلك نذكر ما يُخبرنا به الإمام الصادق عليه السلام من سيرة النبي صلى الله عليه وآله حيث قال: «دخل رسولُ الله صلى الله عليه وآله على عائشة فرأى كسرةً كاد أن يطأها فأخذها فأكلها ثمّ قال: يا حميراء! أكرمي جوارِ نعمِ الله عز وجل عليك؛ فإنّها لم تنفر من قومٍ فكادت تعودُ إليهم»<sup>(٢)</sup>.

وتبرز ظاهرة الإسراف بالطعام في الولايم المعدّة في المناسبات الاجتماعية، وربّما تُهدر فيها أطنان من الأطعمة التي لو تم ترشيد استهلاكها حسب الحاجة الفعلية من دون مبالغات كسدت حاجة عوائل أخرى يثنُّ أفرادها ويتضورون من الجوع.

وهكذا على مستوى احتياجاتنا الأخرى، كالملابس، والأثاث، والقرطاسية ونحو ذلك، فينبغي لنا ترشيد استهلاكنا لها وأن لا ننساق وراء رغبات النفس التي لا تنتهي أو ننحرف مع سباق التفاخر بالمظاهر.

وتتأكد الدعوة إلى الترشيد في الاستهلاك وعدم الإسراف في الأمور التي

(١) أنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٦، ص٢٩٩.

(٢) المصدر السابق: ص٣٠٠.

تكون في معرض الحاجة إليها من قبل جميع أفراد المجتمع، كالخدمات العامة كالماء والكهرباء، خصوصاً في هذه الأزمنة، فكلّما ازدادت أعداد سكان الأرض من البشر كلّما احتجنا إلى الترشيد في استهلاك مثل هذه الأمور العامة لتزايد الحاجة إليها ومحدودية مصادرها نسبياً.

ولا يقتصر الأمر على الأمور المادية فقط، فالتفريط بنعمة الأسرة مثلاً وتعريض استقرارها للخطر، وتهديد بقاء كيانها واستمراره بالمشاكسات أو الدخول في مغامرات تؤدي إلى حصول مشاكل قد تكون نهايتها تفكك الأسرة وانهارها ككيان يجمع أفرادها بأوثق الروابط، وهذا نوع من أنواع التفريط بالنعمة والكفران بها.

وهدر الوقت بالأمور غير النافعة أو المضرة هو لون من ألوان كفران النعمة وجحودها، وعدم الاعتناء بالصحة أو المجازفة بها بممارسة ما يضرها من عادات كالتدخين وتناول الكحول ونحو ذلك هو صورة أخرى من صور كفران النعمة.

## ٢. عدم استثمار موارد الطبيعة بشكل صحيح

لقد خصَّ الله الإنسان بمؤهلات تجعله المؤثر الأول في كوكبنا وما يحتويه من مواهبٍ ونعمٍ عظيمة، ومكَّنه من التصرف بتلك المواهب والنعم بحسب احتياجاته وطموحاته. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَةً قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

(١) الأعراف: آية ١٠.

وصحيح أن هذه الآية تريد أن تحثَّ الناس على الشكر، فتذكّرهم بالنعمة التي وهبت لهم في موطن سكناهم، أي: الأرض، وبالوسائل التي أُتيحت لهم من أجل الاستفادة المثلى من تلك النعمة، وكيف هم يقابلون ذلك بالجحود وعدم الشكر<sup>(١)</sup>، ولكنّها في الوقت ذاته تُخبرنا بحقيقة واقعية، وهي أن الإنسان لا يُقدّر ما وُهب له من تلك المواهب مهما كانت، ولا يشكر واهبها كما ينبغي.

وهذا في الحقيقة أمر يؤكده الوجدان وملاحظة واقعنا الذي نعيشه، فبالرغم من تعاطف الحاجة لموارد الطبيعة بسبب تزايد أعداد سكان الأرض بشكل مطّرد مضافاً إلى ما أدّى إليه التطور المستمر في مجالات الصناعة والتعدين ونحوهما، والتغير الحاصل في أنماط حياتنا المعاصرة من فتح قنوات جديدة لاستغلال موارد الطبيعة، نجد أن البشر مستمرّون في هدر تلك الموارد واستنزافها عبر سوء الإدارة والاستخدام الخاطيء لها، وكأنّ هناك إصراراً على التقصير والتفريط في هذا الجانب المهم الذي يمسُّ حياة الناس بشكل مباشر.

وكمثال على ذلك: فلو أخذنا المياه العذبة القابلة للاستهلاك البشري المباشر وغير المباشر - باعتبار أن مسألة عدم وفرتها بالمقدار الذي يتناسب مع حجم احتياجاتنا المستمرة لها تشكّل مشكلة القرن الحادي والعشرين بعدما كانت المشكلة الأساسية في السابق هي الطاقة<sup>(٢)</sup> - فسوف نجد أنّ

(١) أنظر: الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج ٤، ص ٥٧٧.

(٢) أنظر: أبو سمور، حسن، والخطيب، حامد، جغرافية الموارد المائية: ص ٢٢٥.

الإحصائيات الرسمية تؤكد أنّ أكثر من ملياري شخص موزَّعين على أربعين دولة يعانون اليوم من نقص في المياه العذبة<sup>(١)</sup> مع أنّ كمية المياه في عالمنا باقية نفسها منذ ظهور البشرية، وبالإمكان التدخل في زيادة المياه العذبة منها، ولكن سوء الإدارة والاستخدام أنتج هذا الواقع المأساوي، من سُحّ المياه والذي تسبَّب الإنسان نفسه به<sup>(٢)</sup>.

وهكذا سائر الموارد الطبيعية، فهي محدودة ومتناهية، وهي ملك للبشرية جمعاء، والمحافظة عليها واجب على الجميع على حدِّ سواء، وينبغي أن تكون استخدامات البشر لها متناسبة مع قدرة الأرض على الإنتاج، وهو ما يعبر عنه بالقدرة البيولوجية للأرض، ولكننا نجد أنّ سكان العالم قد استهلكوا في عام ٢٠١٧م - مثلاً - ما يمثل ١٧٣٪ من إجمالي القدرة البيولوجية في العالم في قبال استخدامهم لـ ١١٩٪ في العام ١٩٨٠م، مع تأكيد المختصين على أنّ الاستمرار بهذا الوضع سيفاقم أزمة الموارد، لأنّنا نستهلك من الموارد أكثر مما يتحمّله كوكبنا<sup>(٣)</sup>.

---

(١) أنظر: خطط الإدارة المتكاملة للموارد المائية: ص ٩.

(٢) أبو سمور، حسن، والخطيب، حامد، جغرافية الموارد المائية: ص ٢٢٦.

(٣) أنظر: ما نُشر بهذا الصدد في موقع (سينس أليرت) - Science alert - الأمريكي في شبكة الإنترنت على الرابط التالي:

المحافظة على تلك الموارد وإدارة استهلاكنا لها مسؤولية البشرية جمعاء، وهو يمثل تقديراً لهذه النعم وصورة واضحة من صور شكرها، كما أنّ العكس يمثل صورة بارزة من صور الكفران للنعمة.

ولو اقتصر الأمر على سوء إدارة تلك الموارد لَهان الأمر نسبياً، ولكننا نرى إصراراً على إساءة استخدامات موارد الطبيعة، وبدلاً من استخدامها في مصلحة البشرية وفي سبيل رفاهيتها سخرها المتنفذون ممن بيدهم الإمكانيات من أصحاب الأطماع والطموح للسلطة والسيطرة على الناس ومقدّراتهم في تحقيق أهدافهم الخاصة بهم على المستوى الشخصي أو الوطني أو القومي مثلاً. وما التغيرات المناخية وخصوصاً ظاهرة الاحتباس الحراري إلا نتيجة حتمية للاستغلال غير الصحيح لمواهب الطبيعة ومواردها التي كان ينبغي لها أن تكون نِعماً لسكّان الأرض لا نِقماً عليهم، كما أضحى الواقع اليوم بسبب سوء تصرفات البشر<sup>(١)</sup>. هذا بالإضافة إلى ما وصل إليه عالمنا من مستوى خطير من الناحية الأمنية بسبب أسلحة الدمار الشامل وما تتملكه الدول الكبرى من ترسانات ضخمة جداً تكفي لدمار الأرض بأكملها عدّة مرات.

---

(١) وللإطلاع على مستويات تأثير الاستغلال الخاطئ من قبل الإنسان للموارد الطبيعية على المناخ وما يحدث له من تغيرات سلبية أنظر - مثلاً -: ايف سياما، التغير المناخي. وأبودية، أيوب، نهاية العالم على مذهب التغير المناخي، خصوصاً: الفصل الثاني: ص ٦٥.

مع أن الله سبحانه قد أعطانا قانوناً من قوانينه الثابتة التي لا تتغير بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾<sup>(١)</sup>؛ فإن الذين يبدلون نعم الله باستخداماتهم الهدامة يترصد لهم الله ويستهدفهم بعقابه الشديد في الدنيا بسلب تلك النعم أو بعضها أو بالابتلاءات العامة، كالأزمات الاقتصادية، والكوارث الطبيعية، والأمراض والأوبئة، والعذاب الأخرى بعد ذلك أيضاً<sup>(٢)</sup>.

### ٢- هدرطاقات الشباب

وليكن هذا الموضوع محلاً نعرج فيه بالكلام بخصوص الأفراد، فقد يقع الشخص بنفس الخطأ المشار إليه، فيستعمل ما حصل عليه من نعم في غير ما يوصل للهدف المرجو منها، فتجد الشاب مثلاً قد ينعم بصحة جيدة، ويكون في وضع مادي مقبول، ولم يُبتل بمشاغل الدنيا، فيعيش فراغاً، وينعم براحة بال يتمناها الكثير من الناس؛ لإجل إتمام مشاريعهم التربوية أو الفكرية أو التجارية أو غير ذلك، فلا يجدون مقداراً بسيطاً من تلك الظروف التي يحتاجونها، ومع ذلك تراه يعيش حالة من التيه والضياع، فيهدر أوقاته وطاقاته في أمور لا تقدم ولا تؤخر، بل ربّما أساء استغلال تلك النعم وقلبها إلى نقم عليه وعلى أهله.

(١) البقرة: آية ٢١١.

(٢) أنظر: الشيرازي، ناصر مكارم، تفسير الأمل: ج ٢، ص ٨٥.

ويكفي أن نجري جولة بسيطة للنظر في واقعنا اليوم - وما وصل إليه حال شبابنا من وضع كارثي - لتُعطينا صورة عن المأساة الحاصلة من هذه الناحية، فبينما ينبغي أن تكون فترة الشباب مرحلة تدفق الطاقات ومنطلق للإبداع وبداية لطريق النجاح، نجد الكثير من أبنائنا قد تعطلت عندهم جميع مظاهر النشاط، وخملت فيهم الحيوية، وغابت عنهم صور الإبداع، بل وصل الأمر إلى أكثر من ذلك، فانجرف كثير منهم في تيارات الانحراف، فامتحنوا إدمان المخدرات، وصار كلُّ همهم هو الحصول على المزيد من الملذَّات، مهما كانت الوسائل المتَّبعة، وأياً كانت التبعات الحاصلة.

ومن الطبيعي، فإن وراء ذلك كلُّه أسباباً موضوعية ساهمت في الوصول إلى هذا الواقع البائس، ولعلَّ بعض تلك الأسباب كانت نتيجة تقصير لأفراد أو فئات معينة من المجتمع، لا بد من تحميلهم المسؤولية تجاه ذلك، ولكننا لسنا بصدد الكلام حول هذا الجانب وتحديد جهات التقصير وما يتعلق بذلك، وإنَّما كلامنا هو حول الهدر الحاصل لتلك المواهب التي خُصَّ بها الشباب وضياعها؛ فإنَّ طاقات الإنسان ومواهبه هي من جملة النعم التي وهبت له، بل هي من أهمِّها وأحقُّها بالشكر، ومن شُكرها صرفها إلى وجهتها الصحيحة وتوجيهها نحو المساهمة في تطور الحياة وخدمة البشرية، وأمَّا تضييع تلك الطاقات - أو استغلالها في الانحرافات أو في ما يؤدي إلى الإضرار بالمجتمع - كما لو استعملت في سبيل خدمة الظلمة ونحو ذلك، فهو

١٦٠ ..... الشكرُ حصنُ النعم

من الكفر والجحود بالنعمة، بل يمكن أن يقال: هو من الكفر الفعلي الذي هو أشدُّ من الكفر القولي<sup>(١)</sup>.

#### ٤. البَطْرُ

ومن مظاهر جحود النعمة وكفرانها - المنتشرة على صعيد الأفراد والمجتمعات ظاهرة البَطْر (بمعنى الطغيان في النعمة<sup>(٢)</sup>)، فكثير من الناس إذا وسَّع عليهم في النعم وتوفرت لهم الوسائل المعيشية التي تؤدي إلى حياة الترف، مما قد يصل الأمر بهم إلى الاستغناء - ولو بشكل جزئي - عن الاشتغال بطلب الرزق والسعي لتوفير احتياجاتهم، فلم يُعطوا تلك النعم الحاصلة لديهم حقَّها من الشكر، وأصابهم البَطْر الذي عادةً ما يُصبح مقدمةً للطغيان وانحراف الفرد أو المجتمع عن الاعتدال، ويكون تمهيداً لزوال النعمة أو عدم الاستفادة منها.

وهناك فئات من المجتمع يكون أفرادها عرضةً للابتلاء بهذه الظاهرة السيئة أكثر من غيرهم عادة. فمن أولئك الشباب والمراهقين؛ فكثير منهم يصيبه البَطْر ولا يكون راضياً عما عنده من النعم، ولو كان في أحسن حال، فتجده يستغل عاطفة والديه وبدلاً من شكرهما على ما قدَّماه ويقدمانه له

(١) أنظر: الشيرازي، ناصر مكارم، الكشكول الأخلاقي: ص ٣٧٢.

(٢) أنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ٤، ص ٦٨.

يقابلها بالجفاء، أو يعاملها بعدم احترام، وبدلاً من أن يعتذر لها عن تقصيره يُشعرهما بالتقصير تجاهه، وعوضاً عن إبداء امتنانه لها يمنُّ هو عليها.

ولذلك أسباب عديدة من أهمها عدم النضوج الفكري للشخص في هذه الفترة، وعدم معرفته تفاصيل الحياة وحقائق الأمور، فيُخَيَّل إليه - مثلاً - أنَّ سدَّ جميع احتياجاته - ولو كانت من الأمور الكمالية والجانبية كالسفر للنزهة متى شاء، والقدرة على شراء ما يريد بأي ثمنٍ كان، وإبدال سيارته أو هاتفه عند توفر الأحداث طرازاً مثلاً - هو حقُّ أساسي من حقوقه، ويمثل استحقاقاً طبيعياً له، فأثيُّ قصور يشعر به من هذه الناحية يجعله يتظلم ويتذمَّر من واقعه الذي ربَّما يكون أمنية الآلاف أو الملايين من الناس الآخرين.

ومن تلك الأسباب أيضاً سوء التربية وعدم التوجيه الصحيح من قبل الأهل، بل ربَّما كانت أجواء الأسرة هي تتسم بمظاهر التبطرُّ على النعمة. وهنا لا بدَّ من الإشارة إلى خطأ يتكرر وقوع الأهل فيه، وهو محاولة إرضاء الأبناء وتلبية جميع طلباتهم وتوفير كلِّ ما يرغبون فيه، متوهمين أنَّ هذا هو مجرد تعبير طبيعي عن حبِّهم لهم، وأنَّه كلِّما ازداد مستوى هذا الدلال كلما كان يعني ذلك أنَّهم يحبونهم أكثر. والغريب أنَّنا جميعاً نلاحظ - وبشكل واضح - أنَّ نتائج مثل هذا الدلال الزائد كارثية على الأولاد وأهاليهم والمجتمع بشكل عام، ونقرأ أو نسمع نصائح المختصين في مجال التربية، وأنَّه من الضروري أن يُتَّبَع مع الأولاد أسلوب الحرمان الحميد، وأن تكون كلمة (لا) هي الأكثر استعمالاً في ردودنا على طلباتهم - لا سيما في مرحلة الطفولة - وما لذلك من

مردودات إيجابية على الطفل والمساهمة في بناء شخصيته<sup>(١)</sup>. وبالرغم من هذا فإن كثيراً من الناس يبقى مستمراً في تكرار الخطأ ومصراً على المبالغة في محاولة إرضاء الطفل وإغراقه بما يستطيع من ألعاب ومقتنيات وغير ذلك مما يشتهيهِ ويتمنّاه.

ومن الأسباب التي تؤدي إلى حصول حالة البَطَر في الأولاد أيضاً مصاحبتهم لرفقاء أغنياء، أو ممن يتظاهرون بالغنى والترف ويتباهون بالمظاهر والمكتسبات المادية؛ فإن ذلك يؤدي إلى أن يمدد المراهق أو الشاب عنقه ليتفحص أحوال زملائه وأصحابه، فيكون همّه أن يصبح مثلهم أو يزيد عليهم من حيث مظاهر الثراء والترف.

ومن جملة من يكون في معرض الوقوع في ظاهرة البَطَر عادةً الزوجات، فإنّ الزوجة - بحكم طبيعتها العاطفية وفطرتها التي تدفعها إلى الاعتناء بنفسها وشدة اهتمامها بإثبات ذاتها - تكون قريبة أكثر من غيرها إلى منطقة الخطر والذهاب بعيداً بالتماادي في الحياة المادية والبحث عن أسباب الترف. هذا مضافاً إلى وجود عوامل خارجية تدفع بالزوجة نحو الوقوع في خطيئة التبطر على النعم، من قبيل استغراق الزوج في توفير حياة باذخة لأسرته والمبالغة في ذلك، والتأثر بصديقاتها أو الدخول معهن في المنافسة على مستوى التظاهر بمظاهر حياة الترف والبذخ غير المبرر، أو كونها قد عاشت قبل ذلك

(١) أنظر: جون روزموند، لأنني قلت ذلك: ص ٢١.

عند أهلها حياةً تتصف بالتبطر وجحود النعم. ولعلَّ أهم أسباب حصول البطر عندها اعتياد النعم؛ فإنَّه مرض خفي لا يشعر به الإنسان غالباً إلا بعد زوال النعمة وفقدانها.

ينقل لنا التاريخ أنَّ المعتمد بن عبَّاد صاحب الأندلس كان يعيش زوجته اعتماد الرميكية ويحرص على تحقيق جميع رغباتها، وفي بعض الأيام شاهدت بعض نساء البادية في إشبيلية يمشين في الطين حاملات قِرب اللبن لبيعه في المدينة، فاشتتهت أن تفعل ذلك بنفسها وأخبرت زوجها برغبتها الجديدة، فما كان منه إلا أن أمر بأن يُهيأ لها في القصر طينٌ من العنبر والمسك والكافور والماء البارد، ويُصنع قِربٌ وحبال من الإبريسم، وأخذت تخوض به وتلعب هي وبناتها وجواربها<sup>(١)</sup>. وفي يوم آخر في قرطبة رأَت من بعض نوافذ القصر كيف تندف السماء ثلجاً في منظر نادر الوقوع في تلك البقاع، فتوجهت لزوجها وهي تجهش بالبكاء وتسابق كلماتُ عتابها قطراتِ دموعها، وتتظلم منه بأنَّه لا يصطحبها في رحلاته إلى البلدان التي تتساقط فيها الثلوج شتاءً، فاستجاب لتدلُّلها وأمر بزراعة شجر اللوز على جبل قرطبة حتَّى إذا نَوَّرَ زهره بدى وكأنَّه ثلج على الأشجار يتلأأ<sup>(٢)</sup>. وبالرغم من كلِّ هذا وغيره صادف أن استاءت هذه الزوجة المدللة من زوجها المعتمد، فقالت له: والله،

(١) أنظر: الزركلي، خير الدين، الأعلام: ج ١، ص ٣٣٤.

(٢) أنظر: علي أدهم، المعتمد بن عباد: ص ١٠٣.

١٦٤ ..... الشكرُ حصنُ النعم

لم أرَ منك خيراً قطّ. فقال لها: ولا يوم الطين؟!<sup>(١)</sup>. وكانت نهاية هذا البطرٍ منها - وذلك الإسراف والمبالغة في اللهو والترف من زوجها أيضاً - أن أغار على بلادهم بعض ملوك البلدان المجاورة وأسّر الزوجين المتنعمين مع بناتهم واقتيدوا جميعاً إلى بعض بلدات المغرب وسجنوا ومات الزوجان همماً وكمداً بعد أن عاشا آخر سنتين من عمرهما في فقر شديد وذُلّ عتيد<sup>(٢)</sup>.

وطبعاً لا يقتصر الأمر على الزوجة فقط، بل هناك من الأزواج من يصيبه البطر وجحود نعمة الزواج والحصول على أسرة وما يوفره ذلك من استقرار له، وينسى أو يتناسى ما كان يعانيه فترة العزوبة، ويتغافل عمّا يلاقيه الآخرون من العزّاب من الشعور بالوحدة ومواجهة المصاعب المصاحبة لذلك، فيأخذ بالتبطر على زوجته أو أسرته عموماً.

### البطر في عامة المجتمع

وربّما شاعت حالة من البطر على النعم في المجتمع، فيعتاد الناس على النعم وتوافرها، ويغفلون عن مقدار أهميتها بسبب سهولة الحصول عليها، فلا يلتفتون إلى ما حصلوا عليه منها، بل يأخذون في التدقيق على ما لم ينالوه فيتشكّون ويتظلمون. ويكون هذا غالباً عندما تزيد النعم ويتتشر الغنى في نطاق واسع بين أفراد المجتمع.

---

(١) أنظر: المصدر السابق: ص ١٠٥

(٢) أنظر: الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء: ج ١٩، ص ٦٣.

وهذا في الحقيقة يمثل خطراً يهدد المجتمع من عدة جهات، فهو يؤدي إلى الاستهانة بالنعمة الحاصلة فعلاً وعدم استغلالها في ما ينبغي لها، وإلى حصول حالة من عدم الرضا بالواقع وعدم التفاعل معه بإيجابية، والابتعاد عن التفكير بالمستقبل وعن التركيز على ما يمكن أن يُجعل كهدف يمكن الحصول عليه على وفق الإمكانيات المتاحة. وهذا مضافاً إلى ما يؤدي إليه البطر من نتائج كارثية في آخر المطاف تتمثل بأنواع الابتلاءات الدنيوية.

وفي القرآن الكريم أكثر من قصة لحالات من البطر الذي يصيب المجتمعات، فمن ذلك قصة أهل سبأ الذين بطروا؛ فكانت عاقبتهم أنهم تشتتوا وتفرقوا بعد زوال نعمهم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ، بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَجَرٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكُفُورُ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سَبْرًا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَرَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾.

فقد جاء في تفسير الآيات الشريفة المذكورة أنه كان أهل سبأ - وهي بلدة في اليمن - قد بنوا سدّاً عظيماً بين جبلين ليجمع الماء ويستفيدوا منه، وكانت

تلك البلدة محاطة بالبساتين المثمرة لدرجة أنَّ المرأة تمشي وعلى رأسها وعاء فيسقط فيه من الثمار من دون أن تحرك يدها، وكانت ذات هواء طيب، وذكروا أنَّها كانت خاليةً من الهوام المؤذية؛ فليس فيها بعوض أو ذباب أو عقارب أو أفاعي. وبدلاً من أن يشكروا الله تعالى على ما أنعم به عليهم جحدوا تلك النعم وراحوا يتبطَّرون، فكان من تبطَّروهم أنَّهم إذا سافروا إلى الشام كان في طريقهم بلدات متقاربة فتكون محطات لراحتهم متى شاؤوا، فطلبوا من الله أن يباعد في أسفارهم بأن يجعل في طريقهم الصحارى ليحتاجوا إلى ركوب الدواب ليمتازوا عن الفقراء الذين لا يملكون ما يركبونه<sup>(١)</sup>. فكانت النتيجة أن خربت تلك القرى التي في الطريق، وبعث الله الجرذ يخرَّب سدَّهم، حتى جاء سيل عظيم فهدمه وأغرق بساتينهم، وصارت عندهم بدل تلك البساتين المثمرة بساتين ذات أشجار غير مثمرة كالأثل، أو ثمرة ولكن نفعها قليل نسيباً كالسدر، وكان ذلك سبباً في تشتتهم وتفرقهم في البلدان حتى ضرب بهم المثل فيقال: (تفرَّق القوم أيدي سباً) إذا تشتتوا أعظم التشتت<sup>(٢)</sup>.

ولعلَّ قصة بطر بني إسرائيل - والتي ينقلها لنا القرآن الكريم<sup>(٣)</sup> - أشهر

(١) أنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٢٧٤.

(٢) أنظر: الطبرسي، فضل بن الحسن، مجمع البيان: ج ٨، ص ٢٠٩. والمجسبي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ١٤، ص ١٤٤.

(٣) كما في سورة البقرة، آية: ٥٧ - ٦١.

من القصة السابقة، فبعدما أنقذهم الله من بطش فرعون وقومه أغدق عليهم من النعم العظيمة وخصَّهم بها - حتى قيل: إِنَّهُ لِأَجْلِ هَذَا قَالَ تَعَالَى لَهُمْ: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾، أي: فَضَّلْتُكُمْ عَلَى مَنْ سِوَاكُمْ بِنِعْمٍ عَظِيمَةٍ، كإغراق فرعون، وإنزال الكتب، والمنِّ والسلوى<sup>(١)</sup> - أخذوا بالتبطر، فما أن عبر بهم موسى ﷺ البحر - فراراً من فرعون وقومه - حتى لاموه وقالوا له: أخرجتنا من المدينة والعمران لتهلكنا في الصحاري التي لا ماء ولا طعام فيها، فأرسل الله لهم الغمام يظلمهم في النهار، وأنزل عليهم المنَّ - الذي هو العسل أو شبيهه - والسلوى - الذي هو طائر مشوي - في الليل والعشي يأكلون منه<sup>(٢)</sup>. وما اكتفوا بذلك بل عبَّروا عن مللهم من أكل المنِّ والسلوى ورغبتهم في أن يكون طعامهم مما تُنبت الأرض من البقل - الذي هو كل نبت ليس له ساق<sup>(٣)</sup> والقثاء - أي: الخيار<sup>(٤)</sup> - والفوم - أي: الحنطة<sup>(٥)</sup> - والعدس، والبصل. فاستحقوا الملامة من موسى حيث قال لهم: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي

(١) أنظر: الطبرسي، فضل بن الحسن، مجمع البيان: ج ١، ص ١٩٨.

(٢) أنظر: القمي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي: ج ١، ص ٤٧.

(٣) وهو كل ما أنبتته الأرض من الخضر كالنعناع والكراث والكرفس ونحوها. أنظر: الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين: ج ٥، ص ٣٢٣.

(٤) أنظر: الفراهيدي، أحمد بن الخليل، العين: ج ٥، ص ٢٠٣.

(٥) أنظر: المصدر السابق: ج ٨، ص ٤٠٥. ، وقيل: الفوم هو الثوم المعروف، أنظر: ابن منظور،

محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ١٢، ص ٤٦٠.

١٦٨ ..... الشكرُ حصنُ النعم

هُوَ أَدَّى بِالَّذِي هُوَ حَيْرٌ ﴿١﴾، وغضب الله عليهم وجعلهم في ذلة  
ومسكنة<sup>(٢)</sup>.

### ٥- المبالغة في التباهي في المناسبات

ومن المظاهر التي انتشرت في مجتمعاتنا بشكل واسع ما نشاهده من مبالغت في الإنفاق بالأموال في المناسبات الاجتماعية التي تقام في الأفراح، كالأعراس وأعياد الميلاد، أو الأحران كالمآتم مثلاً، وغير ذلك من الاجتماعات الولائم والاحتفال أو الاحتفاء. فباتت هذه المناسبات مسرحاً للتباهي بالمظاهر، ومرتعاً لمن يأكل بعينه لا بفمه، وصار من المعتاد جداً أن يتأخر الشاب والشابة عن الزواج لأجل عدم التمكن من توفير مصروفات الوليمة الكبيرة أو أجرة قاعة الاحتفال، وأصبح مقبولاً أن تُنفق الأموال الطائلة في سبيل إقامة مجلس تأبين للمتوفي وإن أدّى ذلك إلى أن يُترك أبناؤه بلا أموال.

إنَّ المبالغت المذكورة في إحياء تلك المناسبات وما كان نحوها هي في الحقيقة تمثل مصداقاً لجحود النعم من أكثر من جهة، ففضلاً عما تشتمل عليه من إسراف وإتلاف للأموال، فهي تتضمن صرفاً للنعم إلى غير ما أعدت له، وخير مثال على هذا ما أشرنا إليه آنفاً، من إتلاف المال وحرمان اليتامى منه،

(١) البقرة: آية ٦١.

(٢) أنظر: الطبرسي، فضل بن الحسن، مجمع البيان: ج ١، ص ٢٢٣ - ص ٢٤٠.

بل قد يصل الأمر إلى إنفاق الأموال في المحرّمات، خصوصاً في مجالس الفرح، كالأعراس، وأعياد الميلاد ونحوهما مما يُقرن بارتكاب المحرمات عادة.

### ٦- جحود الإحسان:

ومن مظاهر كفران النعمة مقابلة مَنْ يُحسن إلينا بنكران جميله أو الإساءة إليه، وهذه الظاهرة تبلغ من البشاعة درجةً تجعل من الصعب على الإنسان السوي التصديق بوقوعها وصدورها من بعض الناس، فأَيُّ كائنٍ ذاك الذي يرتضي أن يُجازي مَنْ مدَّ يد العون إليه بما يشينه أو يؤذيه؟! ولكنك بالرغم من ذلك تجد مَنْ يرتكب هذا الفعل السيئ في المجتمع ولا يبالي بما يترتب عليه. وصدق مَنْ قال:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

وأهمُّ ما يترتب على هذا الفعل السيئ من آثار سلبية هو ما يسببه من صدمة لفاعل الإحسان واحتمالية صدور ردة فعل منه تتمثل في الانكفاء عن الاستمرار في بذل المعروف وفعل الخير للآخرين، ولأجل هذا نرى الإمام الصادق عليه السلام يعبرُ عَمَّن يصنعون ذلك فيقابلون الإحسان بالإساءة بأنهم قاطعون لسبيل المعروف<sup>(١)</sup>.

(١) أنظر: الصدوق، محمد بن علي بن الحسين، مَنْ لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٥٧.

ولعلَّ هذا الأثر الشنيع هو السرُّ وراء تعجيل العقوبة في الدنيا على الذي يجحد الإحسان ويقابله بالإساءة، كما ورد في الحديث الشريف<sup>(١)</sup>.

ومن أوضح مظاهر هذه الظاهرة ما يلقاه المصلحون من قبل مجتمعاتهم عادةً من إنكار وعناد وأذيةٍ تتمثل في التشهير بهم والتسقيط لهم، بل ربَّما وصل الأمر إلى تعذيبهم أو تصفيتهم جسدياً. والتاريخ زاخر بقصص واقعية من هذا القبيل، كان أبطالها أعظم البشرية من أنبياء وأولياء وقادة ومفكرين، كما أننا في وقتنا الحالي نعيش العديد من تلك القصص المتكررة في كل عصر وبلد.

ومن أبرز ما نعيشه في وقتنا الحالي من مظاهر تلك الظاهرة ما يتعرَّض له الفقهاء والعلماء من حملات تسقيط وتشويه لصورتهم لدى الناس؛ من أجل إبعادهم عنهم، ليسهل بعد ذلك حرفهم إلى حيث يريد أصحاب الأفكار الضالة والمصالح الضيقة، لعلمهم بأنَّ الفقهاء حصون الإسلام كحصن سور المدينة لها، كما ورد في بعض الروايات<sup>(٢)</sup>. وفي الحقيقة فإنَّ العلماء يفتنون أعمارهم في طلب العلم، وتهذيب النفس؛ في سبيل الأخذ بأيدي الناس وهدايتهم، والحفاظ على عقيدتهم التي هي أغلى ما لدى الإنسان، ومن أجل تحمُّل مسؤولية الحفاظ على وحدة الكيان المجتمعي، فكانوا في كثير من مراحل التاريخ صمَّام الأمان للمجتمعات، كما هو واضح للجميع ومسلَّم به

(١) أنظر: المفيد، محمد بن محمد، الأمالي: ص ٢٣٧.

(٢) أنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ١، ص ٣٨.

من غير المكابرين والمعرضين، فإذا ما قوبلوا بما أشرنا إليه من الجحود والمحاربة، ففي ذلك ظلم مرَّكب وذو اتجاهين، فهو لا يناهم فقط، بل يكون الخاسر الأكبر هو المجتمع نفسه؛ لأنَّه سيُحرم من الاستفادة من هذه النعمة التي خُصَّت بها مجتمعاتنا الإيمانية دون غيرها. وقد ورد في الحديث النبوي الشريف سَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «سَيَأْتِي زَمَانٌ عَلَى أُمَّتِي يَفْرُونَ مِنَ الْعُلَمَاءِ كَمَا يَفِرُّ الْغَنَمُ مِنَ الذَّبِّ، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ ابْتَلَاهُمُ اللَّهُ بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءٍ، الْأَوَّلُ: يَرْفَعُ اللَّهُ الْبِرْكََةَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَالثَّانِي: سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا جَائِرًا، وَالثَّلَاثُ: يُخْرِجُونَ مِنَ الدُّنْيَا بِلَا إِيْمَانٍ»<sup>(١)</sup>.

### المبحث الثاني: عواقب كفران النعمة

من يراجع أخبار الأمم السابقة يجد كثيراً من القصص والحكايات عمَّا حصل لهم، من هلاك أو عقوبات وابتلاءات؛ بسبب تفشي بعض الأفعال أو الإصرار على ارتكابها، بالرغم من كونها مخالفة للفطرة السليمة. ولعلَّ أكثر تلك القصص تكراراً هو ما يدور أحداثه حول محور كفران الناس للنعم التي تُغدق عليهم: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَنَلَكَ مَسْكُوتُهُمْ لَمْ يُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) الشعيري، محمد بن محمد، جامع الأخبار: ص ١٣٠.

(٢) القصص: آية ٥٨.

والأمر الملفت في هذه القصص هو ما يلمسه المطلع عليها من تشابه في الأسباب والمسببات، فكأنَّ هناك علاقةً وارتباطاً حتمياً بين وقوع الابتلاءات والعقوبات على الأمم من جهة وبين بطرِ الأمم وكفرانها للنعم من جهة أخرى، ونحن نعلم أنَّ سنن الله لا محاباة لأحد فيها ولا استثناءات لها، وقد قال تعالى: ﴿ وَأَتَقُوا فِتْنَةَ لَأَنصِيْبِنَ الَّذِيْنَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾<sup>(١)</sup>.

وهذا لا يختص بالأمم والشعوب كمجموع، بل هو يعم الأفراد كذلك، فتجد من حكاياتهم في هذا المجال في القرآن الكريم وغيره الشيء الكثير، ومن منَّا لم يسمع بقصة قارون الذي كان من قوم موسى عليه السلام، ثمَّ لما أصدق الله عليه من نعمه ما جعله ذا ثروةٍ عظيمة طغى ونسي فضل الله عليه، وحينما نصحه قومه بأن يُحسن التصرف بتلك النعم كما أحسن الله إليه إذ وهبها إِيَّاه كان جوابه - كما ينقل لنا القرآن الكريم -: ﴿ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ، عَلَيَّ عِلْمٍ عِنْدِي ﴾<sup>(٢)</sup>، وما اكتفى بذلك، بل تمادى وراح يتفاخر على قومه وأراد أن يفتنهم، كما وصفه تعالى بقوله: ﴿ فَخَرَجَ عَلَيَّ قَوْمِي فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِيْنَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَبْلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾<sup>(٣)</sup> وقال الَّذِيْنَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلِكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَحَسْبُنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضُ فَمَا كَانَ لَهُ، مِنْ فِتْنَةٍ يَنْصُرُونَهُ، مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٣٠﴾.

(١) الأنفال: آية ٢٥.

(٢) القصص: آية ٧٨.

(٣) القصص: آية ٧٩ - ٨١.

وعلى أية حال، فللكفران النعم عواقب وخيمة تعود على الأفراد والمجتمعات، سنتعرض في هذا المبحث لأهمها، وهي ستة أمور:

- ١- زوال النعمة.
  - ٢- العقوبة ونزول البلاء.
  - ٣- المنع من تكامل النفس.
  - ٤- تدمير العلاقات الاجتماعية.
  - ٥- قطع سبيل المعروف.
  - ٦- ضياع الطاقات البشرية وتلف الموارد الطبيعية.
- هذا إجمالها، وستحدث عن كل واحد منها بالتفصيل المناسب:

### ١- زوال النعمة

وهو أظهر آثار كفران النعم - بحسب ما نراه في حياتنا اليومية، وملاحظتنا لتواريخ الأمم وسير الأشخاص - ولهذا جعل الله تعالى ذلك مثلاً في القرآن؛ للتذكير بهذا الأمر الواضح، والتحذير من الوقوع فيه، فقال تعالى: ﴿وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرِيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

---

(١) النحل: آية ١١٢.

وقد ذكر بعض العلماء مثالا لتقريب موضوع سلب النعم ممن يجحدها ويكفر بها بحال الفلاح مع الأشجار المثمرة، فهو إذا وجد بعض تلك الأشجار تتقبل عنايته والاهتمام بها بالسقي والتهديب، فتثمر وتورق على أحسن ما يمكن؛ فإنه سيزيد من اهتمامه ويضاعف من عنايته بها، وبخلاف ذلك ما إذا وجد بعض الأشجار لا تثمر ولا تورق مهما اهتم بها، فإنه آنذاك سيهملها ويتركها لمصيرها المحتوم من الذبول والاندثار. وهكذا هي الحال معنا، فلو وَجَدْنَا المنعم لاثقين بنعمه وشاكرين لأفضاله لزداد في إنعامه، وتوسَّع في أفضاله علينا، بينما إذا كُنَّا غير مؤهلين لاستقبال النعم بما ينبغي من التقدير والحفظ ومقابلتها بالشكر والامتنان سلبها عَنَّا<sup>(١)</sup>. وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «سببُ زوال النعم الكفرانُ»<sup>(٢)</sup>.

يحكي لنا الإمام الصادق عليه السلام قصة أهل الثرثار الذين وصلوا حدًّا يكاد لا يصدَّق من البطر وجحود النعمة؛ فأدَّى ذلك إلى زوالها، وكالمعتاد فإنَّ (أبطال) هذه القصة هم مَنْ أَعْدَقَت عليهم النعم ووسَّعت عليهم الأرزاق. وكان سرُّ تلك الدَّعة في العيش يكمن وراء وجود نهر الثرثار الذي أخصب أرضهم فجعلها منتجة لأقواتهم، ولكنَّهم بدلاً من أن يشكروا الله على ذلك

(١) أنظر: الشيرازي، ناصر مكارم، الأخلاق في القرآن الكريم: ج٣، ص٥٤. وايضاً: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج٧، ص٤٦٥.

(٢) الليثي الواسطي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ: ص٢٨١.

بطروا على تلك النعم ولم يحترموها، ووصل بهم الحال إلى أن يقطعوا الخبز ليستعملوا تلك القطع في الاستنجاء<sup>(١)</sup>، وأخذوا يجمعون تلك القطع في مكان واحد، فتشكَّل منها ما كان كالجبل العظيم. وصادف يوماً أن مرَّ أحد الصالحين بتلك المنطقة فشاهد امرأةً تنظف طفلها بهذه الطريقة، فحدَّرها وبين لها أن ذلك كفران للنعم، وأنذرها بأنَّه يؤدِّي إلى زوالها وحلول القحط؛ ومن ثمَّ افتقارهم بعد تلك الدَّعة، فأنكرت عليه ذلك وردته قائلةً: كأنَّك تخوِّفنا بالجوع؟! نحن لا نخاف الجوع ولا نتوقع الافتقار ما دام نهر الثرثار يجري عندنا.

ولكن هيهات فسنب الله تجري بلا محاباة أو استثناء كما ذكرنا، وكما قال الله تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَدْيِيلًا﴾<sup>(٢)</sup>، فضعف النهر وبدأ بالاضمحلال، وحُبس عنهم قطر السماء، فأصابهم القحط، ونال منهم الجوع، ووصلت بهم الحال إلى أن يرجعوا إلى ذلك الخبز المتجمِّع عندهم ليسدُّوا به جوعهم، فأخذوا يتقاسمونه بالوزن ليأكلوه<sup>(٣)</sup>.

---

(١) الاستنجاء: تنظيف الموضع مما يخرج من البطن بالماء أو الحجر ونحوه. أنظر: الأنصاري، محمد علي، الموسوعة الفقهية الميسرة: ج٣، ص ١٠٤. وأيضاً: الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن الفضل، مفردات ألفاظ القرآن: ص ٧٩٣.

(٢) الأحزاب: آية ٦٢. والفتح: آية ٢٣.

(٣) أنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٦، ص ٣٠١.

ولا يقتصر الأمر على النعم المادية، ففي الجوانب المعنوية هناك نعم تفوق تلك النعم المادية غالباً، ولا يُلتفت إليها عادةً، وقد يقع الإنسان في دائرة إهمالها وعدم تقديرها، وبالتالي يحجدها ويكفر بها؛ فيؤدّي ذلك إلى زوالها.

وعبر مراحل التاريخ هناك أمثلة كثيرة يمكن الاستشهاد بها على هذه الحقيقة والاستفادة منها من قبلنا، فمنها ما يذكره لنا القرآن الكريم من قصة الشخص<sup>(١)</sup> الذي حباه الله ببعض الهبات المعنوية الربانية، فلم يتحمّلها وانسلخ عنها؛ ففقدتها بعد ذلك، وكان من الخاسرين. قال تعالى: ﴿وَأْتَلُّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْنَا مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ۝ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَرَكَهٗ يَلْهَثُ ذَٰلِكَ مِثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢).

ومن تلك الأمثلة التي ينبغي الاستفادة من الاطلاع عليها الشلمغاني - المعروف بابن أبي العزاقر - الذي كان يشغل مكاناً رفيعاً بين

(١) اختلفوا في المقصود من الشخص الذي تحدثت عنه الآيات الكريمة الآتية، ولكن المعروف أنّه بلعام بن باعوراء من أتباع موسى ﷺ، كان صالحاً وقد أُعطي الاسم الأعظم، فكان دعاه مستجاباً، ولكنه حينما تمّ إغراؤه ليدعو على موسى ﷺ وقومه فشل في الامتحان واتبع شهواته ورغباته الدنيوية، فحاول الدعاء على موسى؛ فسلبه الله ما كان قد وهبه من معرفة الاسم الأعظم، وبالتالي فقد ما كان قد حُصّ به من استجابة الدعاء. أنظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان: ج ٤، ص ٣٦٤.

(٢) الأعراف: آية ١٧٥-١٧٦.

علمائنا والمحدثين الثقات عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في زمانه لدرجة جعلته يرى نفسه أنه أولى بالسفارة عن الإمام المهدي عليه السلام من الحسين بن روح، فحسده وأدّى به ذلك إلى الانحراف عن العقيدة الصحيحة، ووصل به الأمر إلى ادّعاء أمور تخرجه من الإسلام، فخرج في ذمه ولعنه توقيع شريف من الناحية المقدّسة<sup>(١)</sup>.

إنّ الارتقاء إلى مكانة رفيعة - وهكذا أن يُعرف الإنسان بسمعة حسنة، أو يكون موضع ثقة عند الناس، أو أن يقابل منهم بالاحترام، أو يكون لرأيه ثقل بين الآراء، أو يكون وجيهاً في عشيرته، أو يكون ذا منصب رفيع في وظيفته، ونحو ذلك كله - من مصاديق النعم التي تستوجب شكرها وإعطاءها حقها من التقدير واستعمالها في مجال الخير وما يُرضي من أنعم بها وهو الله عز وجل، فذلك سبب لبقائها وموجب لزيادتها، كما تشهد بذلك التجارب، ونطقت به الآية الكريمة: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

## ٢. العقوبة ونزول البلاء

قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾<sup>(٣)</sup>. ومن الواضح أنّ الكفر الذي وعد بالعذاب عليه هو كفر النعم

(١) أنظر: الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث: ج ١٨، ص ٥٠.

(٢) إبراهيم: آية ٧.

(٣) إبراهيم: آية ٧.

وليس إنكار الإلوهية مثلاً، بقرينة السياق ومقابلته للشكر، كما لو قيل للرياضي مثلاً: إن تمرن تنجح وإن تقصّر تفشل، فنفهم أن المقصود من التقصير المذكور هو التقصير في التمارين الرياضية لا في غيرها؛ بقرينة السياق ومقابلته لعبارة: (إن تمرن).

وهنا توجد التفاتة لطيفة لبعض المفسرين تخص الآية الشريفة، وهي أنه تعالى قال: ﴿وَلَكِنَّ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾، ولم يقل مثلاً: ولئن كفرتم لأعذبَنَّكم، كما قال قبل ذلك بلحاظ الشكر: ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾، إشارة منه تعالى إلى أن العذاب المذكور إنما هو نفس عمل الناس سوف يتجسد في الآخرة عذاباً شديداً لا أنه شيء آخر يترتب على عملهم<sup>(١)</sup>.

وورد في الحديث النبوي الشريف: «أسرعُ الذنوبِ عقوبةً كفران النعمة»<sup>(٢)</sup>. ولا عجب من ذلك؛ فإنَّ مقابلة الإحسان والإنعام بالجحود ونكران الجميل يُعدُّ ذنباً وخطأً مركباً وقيحاً جداً. فمن ناحية هو خطأ في حق المنعم وتعدُّ على حريمه، ومن ناحية أخرى هو خطأ يرتكبه الشخص أو المجتمع في حق نفسه، حيث يحرم نفسه من الاستفادة من النعم بالشكل الصحيح ومن الاستزادة منها؛ فإنَّ الكفران والجحود والبطر تؤدي إلى عدم استمرار المنعم بالإحسان وإفاضة النعم، بل وربَّما أدَّى إلى سلب ما أفاض به

(١) أنظر: شبير، عبد الله، تفسير القرآن الكريم: ص ٣٩.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي: ص ٤٥٠.

سابقاً، ومن ناحيةٍ ثالثة، فهو يُمثَّلُ خُلُقاً قبيحاً تمجُّه الفطرة السليمة، وينفر منه الضمير، ويستقبحه العقلاء، ويلومون مَنْ يرتكبه؛ فينبغي أن يتعد الشخص عنه ولا يتصف به، خصوصاً إذا تمثَّل باستعمال النعم نفسها في عصيان المنعم والطغيان والتكبر على عباده وظلمهم مثلاً؛ فإنَّ ذلك من أسباب حلول غضب الله تعالى، كما قال: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَد هَوَىٰ﴾<sup>(١)</sup>، ومن ناحيةٍ رابعة فهو يؤدِّي بالتالي إلى قطع طريق الإحسان ويجعل مَنْ يصنعون المعروف من الناس مترددين في معاودة فعل الإحسان أو تقديم المساعدة لمن يحتاجها إن لم يمتنعوا عن فعل ذلك من الأساس. ونحن نعرف أنَّ العقوبات الإلهية تتناسب من حيث الشدَّة والضعف، وسرعة الوقوع وتباطئه مع درجة بشاعة الذنب ومقدار ما يخلفه من آثار سلبيةٍ على الفرد نفسه، أو الأفراد الآخرين، أو على المجتمع ككل.

ومن هنا؛ يتضح لنا معنى قول الإمام الحسن عليه السلام: «النعمةُ محنةٌ، فإنَّ شُكْرَتَ كانتَ كنزاً، وإنَّ كُفْرَتَ صارتَ نقمةً»<sup>(٢)</sup>؛ فالنعمة محنة بمعنى امتحان واختبار<sup>(٣)</sup> للشخص أو المجتمع، فإنَّ قدرها المنعم عليه وشكرها كانت كنزاً

(١) طه: آية ٨١.

(٢) ابن الحلواني، الحسين بن محمد بن الحسن، نزهة الناظر وتنبية الخاطر: ص ٧٢.

(٣) أنظر: الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح: ج ٦، ص ٢٢٠١.

استفاد منه باستغلالها والانتفاع بها، وحصل بعد ذلك على الثواب والزيادة في النعم، كما أن الكثر يمكن للذي يحصل عليه أن يستفيد من محتوياته مباشرة، وله أيضاً أن يجعله رأس مالٍ يتاجر به فتضاعف أمواله، وإن كُفرت تكون عليه نقمة لما يصيبه من ندم وحسرة على فواتها وعدم استغلالها، أو لأجل ما يناله من ملامة اللائمين ومعاباتهم، أو لما يلقاه من عقوبة دنيوية أو أخروية.

ولهذا كله نجد نبيَّ الله سليمان عليه السلام حينما سأل مَنْ حوله أَنَّهُ مَنْ يَسْتَطِيعُ مِنْكُمْ أَنْ يَأْتِيَنِي بِعَرْشِ بَلْقَيْسِ قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَنِي وَقَوْمَهَا مُسْلِمِينَ؟ فرأى العرش مستقراً عنده بفعل الرجل المؤمن الذي عنده علمٌ من الكتاب، فأراد أن يشكر الله على هذه النعمة، فقال - كما جاء في القرآن الكريم -: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيَ عَنِّي كَرِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>، فالنعمة إذا نالت الإنسان الصالح كانت امتحاناً له أيكون شاكراً لها أم كافراً بها.

وقد تنال النعمة الإنسان الطالح ويزيده الله منها استدراجاً له، وكما قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّئُهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّئُهُمْ لِيُزَادُوا إِثْمًا وَهُمْ وَعَذَابٌ مُّهِينٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) النمل: آية ٤٠. أنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن: ج ٨، ص ٩٥.

(٢) آل عمران: آية ١٧٨.

ثمَّ إِنَّ الْعُقُوبَاتِ الَّتِي تَثْبِتُ لِحَطِيئَةِ كَفْرَانِ النِّعْمِ قَدْ تَكُونُ دُنْيَوِيَّةً، كَزَوَالِ النِّعْمَةِ عَمَّنْ يَجْحُدُهَا وَلَا يَشْكُرُهَا، وَالَّتِي ذَكَرَ الْقُرْآنُ لَهَا مِثْلًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾<sup>(١)</sup>، فَبَعْدَمَا كَانَ أَهْلُ الْقَرْيَةِ يَعِيشُونَ بِأَمَانٍ وَطُمَأْنِينَةٍ وَكَانَ يَأْتِي أَهْلَهَا رِزْقُهُمْ بِسَهُولَةٍ مِنْ مُخْتَلَفِ الْأَمَاكِنِ وَالْبُلْدَانِ أَزَالَ اللَّهُ عَنْهُمْ هَذِهِ النِّعْمَةَ بِجُحُودِهِمْ لَهَا، فَأَبْدَلَهُمُ اللَّهُ مَكَانَ أَمَانِهِمْ خَوْفًا، وَبَدَلَ شَبْعِهِمْ وَغَنَاهُمْ جُوعًا وَفَقْرًا. وَقَدْ تَكُونُ الْعُقُوبَةُ أُخْرَوِيَّةً كَمَا هُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَكِنَّ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾<sup>(٢)</sup>، بِحَسَبِ ظَاهِرِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ.

### ٣. المنع من تكامل النفس

لَا يُبَالِغُ مَنْ يَعْتَبِرُ كَفْرَانَ النِّعْمِ مَانِعًا كَبِيرًا أَمَامَ تَكَامُلِ النَّفْسِ وَتَهْذِيبِهَا، وَأَنَّ الْأَمْرَ قَدْ يَصِلُ إِلَى تَلْوِثِ الرُّوحِ وَإِطْفَاءِ جَذْوَةِ النُّورِ الْبَاطِنِيِّ الْمُمْتَدِّ فِي أَعْمَاقِ الْوُجْدَانِ<sup>(٣)</sup>؛ فَإِنَّ انْكَارَ النِّعْمِ وَمُقَابَلَةَ الْإِحْسَانِ بِالْإِسَاءَةِ أَوْ عَدَمَ الْإِكْتِرَاطِ يَعُدُّ ذَنْبًا وَخَطِيئَةً هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ بِمِثَابَةِ نَتِيجَةِ طَبِيعِيَّةٍ لِسُوءِ سَرِيرَةٍ

(١) النحل: آية ١١٢.

(٢) إبراهيم: آية ٧.

(٣) أنظر: الشيرازي، ناصر مكارم، الأخلاق في القرآن الكريم: ج ٣، ص ٤٣.

الشخص الذي يرتكبه، فهو لا يصدر عادةً بدافع من شهوة جامحة أو رغبة طامحة، أو يكون نتاج غريزة راسخة فيه، كما هو الأمر في حبّ الذات مثلاً، ولأجل هذا فهو - أي: كفران النعم - يُعتبر من هذه الناحية أقبح من تلك الذنوب التي تصدر بسبب شيء من تلك الدوافع المشار إليها.

وبالطبع، فإنّ هذا لا يعني إعطاء مبررات لتلك الذنوب الأخرى، فربّما كانت تلك الذنوب - أو بعضها - أسوأ من كفران النعم من بعض الجهات الأخرى، ولها آثار على الفرد نفسه، أو على الآخرين من أفراد أو مجتمعات أكثر خطورة منه، وإنّما نريد تسليط الضوء على الجهة التي جعلت كفران النعم بتلك المثابة من القبح الذي يلامسه وجداننا.

وهذا المعنى الذي نريد التركيز عليه هنا يختزله أمير الفصاحة والبيان أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «كُفِرَ النَّعْمَةَ لُؤْمٌ»<sup>(١)</sup>، فهذا الذنب لا يصدر إلاّ ممن ساءت سريرته، وكان لثيماً بعيداً عن الفطرة السليمة التي تدعو إلى مقابلة الإحسان بالشكر والعرفان، لا بالإنكار والإساءة. فكم من فرق بين أن يتناول شخص طعام غيره لأنّه جائع جداً فضعّف أمام رغبته الجامحة للأكل، وبين أن يكون شعبان ولا رغبة له بالأكل، ولكنّه مع ذلك يتناول طعام غيره لكي يؤذيه ويحرمه من طعامه ليس إلاّ؟! فصحيح أنّ كلا الفعلين يدخلان في نطاق الخطأ والفعل السيئ، ولكنّ فعل الثاني يكشف عن حُبث سريرة

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٨، ص ٢٤.

صاحبه ودناءة نفسه وابتعاده عن حدود الفطرة السليمة، وهكذا هو كفران النعمة ومقابلة الإحسان بالإنكار والإساءة.

ولا شكَّ في أنَّ هناك تناغماً وتوافقاً بين الدين والفطرة السليمة، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بَدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup>، ولهذا يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «لو لم يتواعد الله سبحانه لوجب أن لا يعصى شُكراً لنعتمه»<sup>(٢)</sup>، والمعنى: أنه حتى لو لم يتوعد الله سبحانه وتعالى الناس بالعقوبات على ارتكاب المعاصي، لكان حرياً بنا أن لا نعصيه؛ بمقتضى ما تمليه علينا فطرتنا، وما يحكم به ضميرنا، فمن يتعد عن تلك الفطرة يكون قد خالف شرع الله وابتعد عن سبيل التكامل النفسي الذي يعدُّ من أهم أهداف تشريعات الدين الحنيف.

### ٤. تدمير العلاقات الاجتماعية

تصنّف المجتمعات البشرية على أنّها أجسام عضوية، بمعنى أنّها تفاعلية وأنّ بين أعضائها تأثيراً وتأثيراً سلباً أو إيجاباً، بحيث يمكن تشبيه المجتمع من هذه الناحية بجسم الإنسان الذي يمرض ويتألم بسبب مرض بعض أعضائه،

(١) الروم: آية ٣٠.

(٢) أنظر: التميمي الآمدي، عبد الواحد بن محمد، غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٨٤.

وهو ليس نظير الأجسام غير العضوية التي لا تفاعل بين أجزائها، كمجموعة الأحجار مثلاً التي لا ارتباط فيما بين عناصرها، سوى أنّها اجتمعت في موضع واحد مثلاً<sup>(١)</sup>. ويلاحظ أنّ كثيراً من مواقفنا وسلوكياتنا هي نتاج ذلك التفاعل الاجتماعي سواء كانت تلك المواقف والسلوكيات أفعالاً ابتدائية أم ردوداً لأفعال مسبقة من قبل الغير<sup>(٢)</sup>. فصحيح أنّ التعامل المثالي مع الناس ينبغي أن يكون على وفق ما جاء في كلام أمير المؤمنين عليه السلام: «اجعل نفسك ميزاناً بينك وبين غيرك، فأحب له ما تحب لنفسك واکره له ما تكره لها، وأحسن كما تحب أن يحسن إليك، ولا تظلم كما تحب أن لا تُظلم»<sup>(٣)</sup>، ولكن هذه الحكمة ونحوها إنّما جاءت في سياق تحديد الدواء وإيجاد الحل لواقع لا مجال لإنكاره، قائم على التعامل بالمثل غالباً، ونفوس الناس مجبولة على حبّ مَنْ يُحسن لها وبغض من يسيء إليها<sup>(٤)</sup>، فمن الطبيعي أن يؤدي جحود الإحسان ونكران الجميل إلى تفكك الأواصر الاجتماعية وتناثر أفراد المجتمع، خصوصاً إذا ما صار ذلك ثقافةً وأصبح سلوكاً معتاداً، ولو كان مقنناً بأفئدة

(١) أنظر: أحمد أمين، كتاب الأخلاق: ص ٤٧.

(٢) أنظر: عبد الستار إبراهيم، الإنسان وعلم النفس، الباب الرابع (الإنسان والعالم من حوله):

ص ١٥٧ وما بعدها، خصوصاً الخلاصة في ص ١٨٣.

(٣) الليثي الواسطي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ: ص ٧٧.

(٤) أنظر: الصدوق، محمد بن علي بن الحسين، مَنْ لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ٣٨١.

خداعة، ومؤطراً بعنوانين خلّابة، بحيث تؤدي تلك المفاهيم التي تتضمنها هذه الثقافات المصطنعة وما يتبعها من قناعات وتطبيقات إلى اختلال في موازين الأفعال وردود الأفعال المتبادلة بين أفراد وفئات المجتمع، فينتج عن ذلك جحود لمعروف بعض الأفراد أو الفئات على بعضها الآخر.

وذلك من قبيل ما يروّج له بإلحاحٍ ومغلاة من مراعاة حقوق المرأة والدعوة إلى إنصافها، ومحاولة إنقاذها من التوجهات الذكورية في المجتمع، والتي (قد) تجرُّ إلى المبالغة في تصوير مظلوميتها أو في التوسع في تحديد حقوقها، إلى غير ذلك ممّا قد يدفع بالزوجات إلى الاقتناع بمظلوميتهنَّ مسبقاً، من دون التأمل في واقع كل واحدة منهنَّ، فيؤدّي هذا إلى الغفلة أو تجاهل ما يقدّمه الأزواج لهنَّ، ممّا يستحقون عليه الشكر والمقابلة بالعرفان والامتنان. وهكذا في المقابل قد يتهادى الرجال بسبب القيمومة التي جُعلت لهم، أو بسبب ما يجدونه فيهم من عناصر تولى دور الريادة في الأسرة من قوة بدنية واعتدال نسبي في الخصال النفسية؛ على العكس من النساء اللاتي يتصفن بسبيل العاطفة الجياشة والتأثر الانفعالي بالمواقف، ونحو ذلك ممّا (ربّما) يسوقهم نحو أن لا يروا إلا فضلهم على زوجاتهم وأولادهم، فيؤدّي ذلك إلى غبن حق الزوجات والأولاد في استحقاقهم الشكر وإشعارهم بالامتنان لهم لما يقدّمونه لهم.

ومن قبيل التوسعة في عنوان الحرية الشخصية - بقصد أو بغير قصد - مما

يوهم بأنّها لا تحدُّ بحدود، فتشمل حالات التعديّ على الآخرين، أو الخدش بالآداب العامة للمجتمع، أو ممارسة المحرمات علناً ونحو ذلك، فإنّه (قد) يؤدي هذا إلى النظر إلى كلّ مَنْ يحاول الوقوف أمام هذه الحرية المزعومة ليحدّد منها بحق أو حقد، ولو كان أحد الوالدين مثلاً، فيدفع بالأبناء إلى جحود فضل الوالدين، بل والشعور بالمظلومية منهما، وبدل من أداء شكرهما أو إشعارهما بالامتنان لما قدّماه ويقدمانه لهم يتجاوزون حدود اللياقة والأدب معها، فيجرّ الأمر إلى وقوع المشاكل وحصول النفرة، وتكون النتيجة تفكك العائلة.

والخلاصة: إنّ جحود إحسان الآخرين وترك شكرهم وعدم الامتنان لهم تكون نتيجته في النهاية النفرة بين أفراد المجتمع وتفكك حلقاته المختلفة.

#### ٥- قطع سبيل المعروف

وهذا نتيجة اعتيادية على وفق طبيعة بني البشر، فلو صنع أحدنا معروفاً لشخص وقابل هذا الشخص المعروف بالجحود وواجه صاحبه بالجفاء أو بالإساءة؛ فستكون لصانع المعروف ردة فعل قاسية بمقدار قساوة جريرة ناكر الجميل، فيمتنع عن فعل مثل ذلك المعروف مستقبلاً؛ ولذلك فيعدُّ منكر الجميل قاطعاً لسبيل المعروف والذي ورد ذمه في كلمات أهل البيت عليهم السلام <sup>(١)</sup>.

(١) الصدوق، محمد بن علي بن الحسين، مَنْ لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٥٧.

## ٦- ضياع الطاقات البشرية وتلف الموارد الطبيعية

كما أنّ للشكر العملي أهمية تستقى من تأثيره المباشر بالواقع فكذلك ما يقابله من كفران للنعم، أي: كفر النعم العملي، كالإسراف بالنعم، وعدم المحافظة عليها، وهكذا توجيه استعمالها في غير ما وجدت لأجله. والإسراف هو هدر للنعم وإتلاف لها بدون فائدة، وكُنّا قد أشرنا<sup>(١)</sup> إلى بعض مظاهره المنتشرة في مجتمعاتنا اليوم، وكيف أنّ لها تأثيراً مباشراً على واقع البشرية من جهة تفويت فرص الاستفادة من تلك النعم، مع وجود مَنْ هو بحاجة ماسّة لها قد تصل إلى درجة أن يكون بقاء حياة بعض بني البشر في بعض الأماكن متوقفاً على استحصال ما يتم إتلافه والإسراف به في أماكن أخرى<sup>(٢)</sup>.

ولا يقل عن ذلك تأثيراً في واقعنا - إن لم يزد عليه - توجيه المواهب والطاقات البشرية والموارد الطبيعية إلى غير وجهتها الصحيحة، فعلى مستوى المواهب والطاقات البشرية ليس بعيداً علينا ما نشهده في حاضرنا من عزوف عن كلّ ما هو مُنتج وفيه نفع للبلاد والعباد، والانكفاء على كل ما فيه قتل للمواهب وإتلاف للأعمار، خصوصاً ونحن نعيش عصر الإنترنت وانتشار

---

(١) وذلك في النقطتين الأولى والثانية من نقاط المبحث الأول من هذا الفصل.

(٢) وقد تعرضنا لذلك بالتفصيل المناسب والمعزّز بالإحصائيات والأرقام في المبحث الأول من

هذا الفصل تحت عنوان (عدم المحافظة على النعم).

مواقع التواصل الاجتماعي والألعاب الإلكترونية التي سيطرت على حياة الناس، لا سيما فئات الأطفال والمراهقين والشباب، فسرقت منهم أعز ما يملكه الإنسان، وهو عمره، فعطلت فيهم مواهبهم، واغتالت فيهم روح الابتكار، ونحن نعرف أن فرص تقدم الأمم وتطورها تتأثر بمقدار نسبة الشباب بين أفراد المجتمع؛ فإنهم يمثلون الأيدي العاملة الفعلية، والعقول المبدعة والمواكبة لمتطلبات العصر. وهكذا الأطفال والمراهقون، فهم رجال المستقبل، وبهم يتحدد مستقبل الأمم، والتفريط بهم يؤثر سلباً على مستقبل البلاد، ويعرضه للخطر.

وهكذا على مستوى الموارد الطبيعية، فإهدار تلك الموارد والتفريط بها، وهكذا استخدامها في غير مجالاتها الطبيعية التي ينبغي أن تكون في صالح البشرية وسبيل تطورها، بينما ترى إصراراً على استخدامها في سبيل الحصول على أهداف خاصة لأشخاص أو فئات أو دول معينة، فيسبب ذلك تضييعاً لتلك الموارد التي ينبغي أن تكون ملكاً لجميع البشر، والاستفادة منها متاحة لكل إنسان، وهذا في الحقيقة يُعدُّ من أخطر آثار كفران النعم. وقد تقدّم منّا في المبحث الأول من الفصل الرابع ما فيه الكفاية مما يخص هذا الموضوع، فيمكن للقارئ الكريم ملاحظته<sup>(١)</sup>.

---

(١) قد تقدم ذلك تحت عنوان (عدم استثمار موارد الطبيعة بشكل صحيح)، وتحت عنوان (هدر طاقات الشباب).

## الخاتمة

وفي الختام نتمنى أن يكون القارئ الكريم قد أدرك ما لموضوع بحثنا في هذا الكتاب - أعني: شكر النعم وكفرانها - من أهمية عظيمة؛ لما لذلك من تأثير كبير على حياتنا عموماً، سواء كان على المستوى الشخصي والفردى أم على مستوى المجتمع ككل .

فإنَّ الشكر - كما رأينا - يمثِّل من جهةٍ واجباً من الواجبات الأخلاقية والعرفية الأساسية التي يُلزم بها العقل والوجدان تجاه مَنْ يُحسِنُ إلينا ويُنعم علينا، وهو من جهةٍ أخرى يجسِّد ثقافة شخصية ومجتمعية راقية، ويعدُّ من الأمور التي يقاس في ضوئها مستوى الرقي والتحضر الذي عليه الفرد أو المجتمع، ومن ثَمَّ فهو منهج عبادي للفرد أو المجتمع يتوجَّه به إلى الخالق الذي أحسن إلينا وأسبغ بنعمه علينا .

وبعبارة مختصرة: فإنَّنا في فصول ومباحث كتابنا هذا حاولنا تسليط الضوء والتأكيد على أنَّ الشكر هو أسلوب حياة ومنهج عبادي على المستويين الفردي والمجتمعي، وليس هو مجرد إبراز بعض التعابير اللفظية أو غير اللفظية التي قد نأتى بها في بعض مواقف المجاملات الاجتماعية الروتينية، بل

هو يتعدى ذلك بمراحل ومراتب عديدة، ليصل الأمر معه ليكون جزءاً مهماً ومقوماً لشخصية الفرد أو المجتمع، بحيث يصنّف الإنسان في ضوءه ليكون ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾<sup>(١)</sup>.

فليس من السهولة أن تكون الكتابة في مثل هكذا موضوع حيوي وذو أبعاد متعددة شاملةً ووافيةً بجميع جوانبه وبشكل تام، خصوصاً إذا ما اختار الكاتب أن يتناول الموضوع بنحو العموم ومن دون التركيز على زاوية محددة من زواياه العلمية أو العملية، كما صنعنا نحن في كتابنا هذا؛ باعتبار أن هدفتنا من الكتابة في الشكر هنا هو المساهمة التوجيهية في المجال الأخلاقي والتذكير بما لهذا السلوك من آثار عظيمة تترتب عليه في النطاق الفردي والاجتماعي، مما يجعلنا نتناول كل ما له علاقة بذلك سواء كان ذلك المطلب علمياً أم عملياً، وسواء كان وصولنا للمطلوب عبر الأسلوب العلمي أم الأدبي والخطابي، بل وحتى القصصي.

ونحن لا نزعم أننا وفينا الموضوع ما يستحقه، أو أننا أحطنا به من جميع جوانبه، فهذا ليس أمراً يسيراً، وهو لم يكن هدفاً لنا عند الشروع بالكتابة، ومن ثمّ فلتكن آخر كلماتنا هنا متمثلة بدعوة إلى كل من لديه قابلية في رفق

هذا الموضوع بما ينفع، كتابةً وخطابةً، وتوجيهاً إلى الإسهام بنشر ثقافة الشكر في مجتمعاتنا؛ فإنَّ في ذلك استدراكاً للبركة واستزادةً من الخير والنعم بحسب ما وعدنا به الله سبحانه وتعالى حينما قال: ﴿لِيَن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾<sup>(١)</sup>.  
والحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين محمد وآله الطاهرين.

---

(١) إبراهيم: آية ٧.



## المصادر والمراجع

\* القرآن الكريم.

\* نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، اختيار وجمع الشريف الرضي، تحقيق صبحي صالح، بيروت، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م، ط: ١.

\* الصحيفة السجادية، الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليهما السلام، إشراف السيد محمد باقر السيد المرتضى الموحد الأبطحي الأصفهاني، تحقيق ونشر: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، مطبعة قم، نمونة.

١. ابن شهر آشوب المازندراني، محمد بن علي، متشابه القرآن ومختلفه، طبع في شركة سهامية للطباعة، توزيع: مكتبة البوذرجمهري (المصطفوي) بطهران.

٢. ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال، نشر مكتب الإعلام الإسلامي، قم، إيران، تاريخ النشر: ربيع الأول ١٤١٥هـ.

٣. ابن عابدين، محمد أمين، حاشية رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار في فقه مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان، إشراف: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، سنة الطباعة ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

١٩٤ ..... الشكرُ حصنُ النعم

٤. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، مركز النشر - مكتب الإعلام الإسلامي، طباعة وتصحيف: مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، تاريخ النشر ١٤٠٤هـ.

٥. ابن فتال النيسابوري، محمد، روضة الواعظين، تقديم: السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان، منشورات الرضي، قم - إيران.

٦. ابن منظور الإفريقي المصري، محمد بن مكرم، لسان العرب، نشر أدب الحوزة، قم، إيران، تاريخ النشر: محرم ١٤٠٥هـ.

٧. أبو تمام الطائي، حبيب بن أوس بن الحارث، ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، الطائي، تحقيق: محمد عبده عزّام، دار المعارف، ط: ٤.

٨. أبو حلاوة، محمد السعيد عبد الجواد، علم النفس الإيجابي، ماهيته، ومنطلقاته النظرية وآفاقه المستقبلية، ضمن سلسلة الكتاب العربي للعلوم النفسية، الإصدار الرابع والثلاثون.

٩. أبو سمور، حسن، والخطيب، حامد، جغرافية الموارد المائية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٩م - ١٤٢٠هـ، ط: ١.

١٠. أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله، معجم الفروق اللغوية، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة، ١٤١٨هـ، ط: ١.

١١. أحمد أمين، كتاب الأخلاق، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، جمهورية مصر العربية.

١٢. الأصفهاني، الراغب، معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، منشورات طليعة النور، ط: ٢.

١٣. الأصفهاني، الراغب، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، منشورات طليعة النور، ط: ٢.

١٤. الأمدي، عبد الواحد بن محمد التميمي، غرر الحكم ودرر الكلم، نشر: مكتب الإعلام الإسلامي، قم.

١٥. الأملي، محمد تقي (تقريباً لأبحاث أستاذه الشيخ محمد حسين النائيني)، المكاسب والبيع، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

١٦. الأنصاري، محمد علي، الموسوعة الفقهية الميسرة، نشر مجمع الفكر الإسلامي، مطبعة شريعة، قم، ١٤٢٠هـ، ط: ١.

١٧. البحراني، ميثم بن علي بن ميثم، شرح نهج البلاغة، عُني بتصحيحه عدّة من الأفاضل وقُوِّبَلْ بَعْدَهُ نُسخٌ مَوْثُوقٌ بها، مركز انتشارات دفتر تبليغات إسلامي حوزة علمية، قم، طبع في مطبعة النصر.

١٨. البيهقي، أحمد بن الحسين، شعب الإيثار، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسبوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٠هـ -

١٩٦ ..... الشكرُ حصنُ النعم

١٩. جون روزموند، لأنَّني قلتُ ذلك، طبعة مكتبة جرير، ٢٠٠٦، ط: ١.

٢٠. الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، لبنان، بيروت، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، ط: ٤.

٢١. الحرَّاني، علي بن الحسين بن شعبة، تحف العقول عن آل الرسول، تصحيح وتعليق: علي أكبر غفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في قم المشرفة، ١٤٠٤هـ، ط: ٢.

٢٢. الحفني، عبد المنعم، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، نشر مكتبة مدبولي، مصر، القاهرة، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، ط: ٣.

٢٣. الحلواني، الحسين بن محمد بن الحسن، نزهة الناظر وتنبية الخاطر، تحقيق ونشر: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام - قم المقدسة، مطبعة مهر، قم، ط: ١.

٢٤. الحلي، ابن فهد، المقتصر من شرح المختصر، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، نشر مجمع البحوث الإسلامية، إيران، مشهد، مطبعة سيد الشهداء عليه السلام، قم.

٢٥. الحميري، نشوان بن سعيد، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشر دار الفكر، دمشق، ١٤٢٠هـ، ط: ١.

٢٦. خطط الإدارة المتكاملة للموارد المائية، دليل تدريبي صادر عن منظمة الشراكة العالمية (GWP) وشبكة (CAP NET) المختصين بتنمية المهارات والقدرات في مجال الموارد المائية، ترجمة صلاح مفتاح عبد الله

- حمد، مراجعة أ. جبريل عبد المطلوب صالح خليفة، تُرجم برعاية المعهد العالي للتقنيات الزراعية - قسم تكنولوجيا المياه، بنغازي، ليبيا، الطبعة الأولى، طبع وتوزيع سنة ٢٠١٨م.
٢٧. الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث، مطابع مركز نشر الثقافة الإسلامية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، ط: ٥.
٢٨. ديل كارنيجي وشريكاه: ستيوارت آر. ليفاين، ومايكل إيه كروم، فن القيادة في العمل، مكتبة جرير، ١٩٩٩م، ط: ١.
٢٩. ديل كارنيجي، دعِ القلق وابدأ الحياة، تعريب: عبد المنعم محمد الزيايدي.
٣٠. ديل كارنيجي، فن التعامل مع الناس، نشر: مكتبة جزيرة الورد، ٢٠١٠م، ط: ١.
٣١. الديلمي، الحسن بن أبي الحسن، أعلام الدين في صفات المؤمنين، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، قم.
٣٢. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، أشرف على التحقيق وإخراج الأحاديث: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ط: ٩.
٣٣. الري شهري، محمد، ميزان الحكمة، تحقيق وطبع ونشر: دار الحديث، التنقيح الثاني ١٤١٦هـ، ط: ١.
٣٤. الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، دراسة وتحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

- ١٩٨ ..... الشكرُ حصنُ النعم
٣٥. الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠م، ط: ٢.
٣٦. السياب، بدر شاكر، ديوان بدر شاكر السياب، دار العودة، بيروت، لبنان.
٣٧. شبر، عبد الله، تفسير القرآن الكريم، مراجعة: الدكتور حامد حفني داوود، ١٣٨٥هـ-١٩٦٦، ط: ٣.
٣٨. الشربيني، زكريا، ويسرية صادق، تنشئة الطفل وسبل الوالدين في معاملته ومواجهة مشكلاته، طباعة ونشر: دار الفكر العربي، القاهرة، مطبعة أميرة للطباعة، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
٣٩. الشعيري، محمد بن محمد، جامع الأخبار، دار الرضي للنشر، قم، ١٤٠٥هـ، ط: ٢.
٤٠. الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
٤١. شوقي، أحمد، ديوان الشوقيات، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
٤٢. الشيرازي، ناصر مكارم، الأخلاق في القرآن الكريم، بمساعدة مجموعة من الفضلاء، إعداد: المؤسسة الإسلامية، المطبعة: أمير المؤمنين - قم، نشر: مدرسة أمير المؤمنين عليه السلام، قم.
٤٣. الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ترجمة وتلخيص: محمد علي آذر شب، نشر: مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، قم المقدسة، ١٤٢١هـ، ط: ١.

٤٤. الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه، عيون أخبار الرضا عليه السلام، صححه وقدم له وعلق عليه: العلامة الشيخ حسين الأعلمي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، ط: ١.
٤٥. الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه، مصادقة الإخوان، إشراف: السيد علي الخراساني الكاظمي، منشورات مكتبة الإمام صاحب الزمان العامة، الكاظمية، العراق.
٤٦. الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه، معاني الأخبار، تصحيح: علي أكبر غفاري، الناشر: انتشارات إسلامي.
٤٧. الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه، مَنْ لَا يَخْضُرُهُ الْفَقِيه، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابع لجماعة المدرسين في قم المشرفة.
٤٨. الطبرسي، أبو الفضل علي، مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، تحقيق: مهدي هوشمند، نشر دار الحديث، ط: ١.
٤٩. الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، تقديم: السيد محسن الأمين العاملي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات في بيروت، ط: ١.
٥٠. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الملوك والأمم، مراجعة وتصحيح وضبط: نخبة من العلماء، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٢٠٠ ..... الشكرُ حصنُ النعم

٥١. الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، مؤسسة مرتضوي للنشر، طهران.

٥٢. الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٤هـ، ط: ١.

٥٣. العاملي، جعفر مرتضى، تفسير سورة الفاتحة، المركز الإسلامي للدراسات، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، ط: ٢.

٥٤. العاملي، حسن محمد، بداية المعرفة، الدار الإسلامية، بيروت، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، ط: ١.

٥٥. العبادي، عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد، تحقيق وجمع: محمد جبار المعبيد، من إصدارات سلسلة كتب التراث الصادرة عن وزارة الثقافة والإرشاد، مديرية الثقافة العامة، شركة دار الجمهورية للنشر والطبع، بغداد، ١٩٦٥.

٥٦. عبد الستار إبراهيم، الإنسان وعلم النفس، سلسلة كتب عالم المعرفة الشهرية التي يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت، إصدار فبراير ١٩٨٥م.

٥٧. علي أدهم، المعتمد بن عباد، ضمن سلسلة أعلام العرب الصادرة عن وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، الناشر: مكتبة مصر.

المصادر والمراجع..... ٢٠١

٥٨. الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، العين، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، إيران، ط: ٢.

٥٩. القاضي ابن حيون، أبو حنيفة النعمان بن منصور، دعائم الإسلام، تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي، دار التعارف، طباعة ونشر دار المعارف بمصر، ١٣٨٣هـ-١٩٦٣م.

٦٠. الكراجكي، أبو الفتح، كنز الفوائد، دار الذخائر، قم، ١٤١٠هـ، ط: ١.

٦١. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٨٨هـ، ط: ٣.

٦٢. لويز هاي وأصداقواها، الامتنان أسلوب حياة، ترجمة: قسم الترجمة بدار الفاروق، دار الفاروق للاستشارات الثقافية، مصر، القاهرة.

٦٣. الليثي الواسطي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ، تحقيق: الشيخ حسين الحسيني البيرجندي، طباعة ونشر: دار الحديث، ط: ١.

٦٤. المتقي الهندي، علاء الدين علي المتقي بن حسم الدين، كنز العمال في سنن الأفعال والأفعال، ضبط وتفسير وتصحيح وفهرسة: الشيخ بكرى حياني، والشيخ صفوة السفا، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

٦٥. المراغي بك، أحمد مصطفى، هداية الطالب في الصرف، دار الظاهرية للنشر والتوزيع، الكويت، ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م، ط: ١.

٦٦. مصطفى محمود، الشيطان يحكم، دار المعارف.

- ٢٠٢ ..... الشكرُ حصنُ النعم
٦٧. المظفر، محمد رضا، أصول الفقه، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
٦٨. المعري، أبو العلاء، ديوان اللزوميات، تحقيق: أمين عبد العزيز الخانجي، منشورات مكتبة الهلال، بيروت، ومكتبة الخانجي، القاهرة.
٦٩. مغنية، محمد جواد، التفسير الكاشف، دار الكتاب الإسلامي، قم، ١٤٢٤هـ، ط: ١.
٧٠. المفيد، محمد بن محمد بن نعمان، الاختصاص، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري والسيد محمود الزرندي، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، ط: ٢.
٧١. المفيد، محمد بن محمد بن نعمان، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام لتحقيق التراث، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، ط: ٢.
٧٢. المفيد، محمد بن محمد بن نعمان، الأمالي، تحقيق: الحسين أستاذ ولي - علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة.
٧٣. وليام ليلي، مقدمة في علم الأخلاق، ترجمة وتقديم وتعليق: دكتور علي عبد المعطي محمد، الناشر مؤسسة المعارف بالإسكندرية، ٢٠٠٠م.

## محتويات الكتاب

- ٧..... مقدمة المؤسسة
- ٨..... (مؤسسة الخلق العظيم) ودوافع تأسيسها
- ٩..... رؤية المؤسسة
- ٩..... أولاً: فطرية الميل الأخلاقي وإلهيته
- ١٠..... ثانياً: تكامل النظام الأخلاقي في الإسلام
- ١١..... ثالثاً: محورية الإنسان في الأخلاق
- ١٢..... أهداف المؤسسة
- ١٤..... مشاريع المؤسسة
- ١٤..... ١- موسوعة المواعظ الحسنة
- ١٤..... ٢- موسوعة الأخلاق الإسلامية
- ١٥..... ٣- ترجمة النتاجات الأخلاقية
- ١٥..... ٤- موسوعة التراث الأخلاقي
- ١٦..... ٥- إعداد مناهج دراسية أخلاقية
- ١٦..... ٦- الأدب الأخلاقي
- ١٧..... ٧- تحقيق التراث الأخلاقي وتدوينه

٢٠٤ ..... الشكرُ حصنُ النعم

١٧ ..... ٨- مجلة الخلق العظيم

١٨ ..... ٩- تأليف سلسلة الفضائل والبرائل

١٨ ..... ١٠- إقامة المؤتمرات والملتقيات والندوات الأخلاقية

١٨ ..... ١١- المشاريع الإعلامية

١٩ ..... ١٢- إقامة دورات في الأخلاق الإسلامية

١٩ ..... ١٣- المكتبة الإلكترونية الأخلاقية

١٩ ..... هذا الكتاب

٢٣ ..... مقدمة

٢٧ ..... تمهيد: معنى الشكر وما يتعلق به

٢٧ ..... حقيقة الشكر

٢٨ ..... الفرق بين الشكر والثناء والحمد

## الفصل الأول

### دواعي الشكر

٣٤ ..... المبحث الأول: إطلالة حول نعم الله علينا

٣٨ ..... النعم الظاهرة والباطنة

٤٥ ..... أهمّ النعم الباطنة

٤٥ ..... ١- نعمة أصل الإيجاد

٤٨ ..... ٢- نعمة الاستقامة والرشاد

٢٠٥	محتويات الكتاب .....
٥١	٣- نعمتا الأمن والعافية .....
٥٤	٤- نعمة دوام النعم وعدم سلبها .....
٥٥	٥- نعمة استغناء الشخص عن شرار الناس وحاجة الناس إليه .....
٥٧	٦- نعمة النسيان .....
٥٨	المبحث الثاني: موجبات شكر الناس .....
٥٩	١- فضل الوالدين .....
٦٢	٢- فضل الزوج أو الزوجة .....
٦٥	٣- فضل الأبناء .....
٦٨	٤- فضل المعلم والمربي .....
٧٠	٥- فضل الأصدقاء .....
٧٥	٦- فضل الجار الصالح .....
٧٧	٧- فضل لفئات أخرى من المجتمع .....

## الفصل الثاني

### الشكر ثقافة

٨٨	دور الأسرة في تكوين ثقافة الشكر .....
٩١	ظاهرتا التذمر والعتاب .....
٩٣	تعزيز الشعور بالرضا وتقدير النعم .....
٩٩	عوامل تساعد على اكتساب الشعور بالرضا وتقدير النعم .....

## الفصل الثالث

### أساليب الشكر

- المبحث الأول: الشكر القلبي ..... ١٠٦
- الشكر القلبي نصف الإيمان ..... ١٠٧
- الشكر القلبي العبادة الخفية ..... ١٠٩
- الشكر القلبي أسلوب وغنيمة ..... ١١٢
- المبحث الثاني: الشكر القولي ..... ١١٣
- أهمية الشكر القولي ..... ١١٤
- الشكر باللسان وملكة الشكر ..... ١١٧
- تعداد النعم شكرٌ لها ..... ١١٩
- المبحث الثالث: الشكر العملي ..... ١٢١
- صور من الشكر العملي ..... ١٢٢

## الفصل الرابع

### ثمرات الشكر وفوائده

- أولاً: ثمرات الشكر الدنيوية ..... ١٣٨
- ثانياً: ثمرات الشكر في الآخرة ..... ١٤٣

## الفصل الخامس

### كفران النعمة وتداعياته

المبحث الأول: بعض مظاهر كفران النعمة .....	١٥٠
١- عدم المحافظة على النعم .....	١٥١
٢- عدم استثمار موارد الطبيعة بشكل صحيح .....	١٥٤
٣- هدر طاقات الشباب .....	١٥٨
٤- البَطْر .....	١٦٠
البطر في عامة المجتمع .....	١٦٤
٥- المبالغة في التباهي في المناسبات .....	١٦٨
٦- جحود الإحسان: .....	١٦٩
المبحث الثاني: عواقب كفران النعمة .....	١٧١
١- زوال النعمة .....	١٧٣
٢- العقوبة ونزول البلاء .....	١٧٧
٣- المنع من تكامل النفس .....	١٨١
٤- تدمير العلاقات الاجتماعية .....	١٨٣
٥- قطع سبيل المعروف .....	١٨٦
٦- ضياع الطاقات البشرية وتلف الموارد الطبيعية .....	١٨٧
الخاتمة .....	١٨٩
المصادر والمراجع .....	١٩٣
محتويات الكتاب .....	٢٠٣